محاضرات

ادبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب

باعتبار علاقتها باوروبا وخصوصاً بايطاليا

وهي

الاربعون محاضرة التي خطب العلامة المحقق السنيور «جويدي»
طلبة الجامعة المصرية إياها

نشرت تباعاً

في

«مجلة الجامعة المصرية»

« يطلب من مكتب المجلة بشارع محمد علي ومن المكاتب الشهيرة »

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب الذي نقدمه الآن بين يدى الادباء ورجال العلم والفضل قدوعى الاربعين محاضرة التي ألقاها العلامة المحقق السنيور جويدى على طلبة الجامعة المصرية في موضوع أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب وقد بدأ بها يوم الثلاثاء ٢٢ ديسمبر سنة ٨ ١٩ وفرغ منها يوم الاحد ٢١ مارس سنة ٩٠٩ فكانت مدتها ٨٧ يوما . وكان يخطب في أول الامر ثلاث خطب في الاسبوع ثم زادها الى أربعة . وقد نشرت هذه المحاضرات تباعا في مجلة الجامعة المصرية التي أصبحت سجل علم وحكمة بما يمليه عليها أساتذة الجامعة الاعلام. واذ نالت هذه الخطب رضاء قراء المجلة وكانت فيما نرى من أنفس مايدخر جمعناها على حدة في هذا الكتاب ونشرناها متوخين بذلك تعميم الفائدة وتخليد ذكرى هذا الاستاذ الجليل

ولا بد لنا هنا من التنويه بذكر الاستاذ الخطيب والدلالة على فضله وسمو منزلته التي عرفها له الغرب والشرق بذكر شيء من تاريخ حياته نقلا عن دائرة المعارف الفرنسوية الكبري وما علمناه منه بالمحادثة وعرفناه فيه بالمعاشرة وها ك مختصر حياته

***

ولد الاستاذ في ٣١ يوليو سنة ١٨٤٤ ميلادية فيكون بلغ الآن الخامسة والستين من عمره وكانت ولادته في مدينة رومية منشئه ومرباه . وتعلم من اللغات القديمة السريانية والحبشية والعبرانية والقبطية ومن اللغات الحية لغته الايطاليه واللغة الفرنسية والعربية التي يجيد الكتابة فيها . وقد عهد اليه تدريس اللغة العبرانية واللغات السامية والمقارنة بينها سنة ١٨٧٦ في جامعة رومية . ثم عين استاذا فوق العادة فيها

في سنة ١٨٧٨ ثم استاذا في سنة ١٨٨٥ وكلف بتدريس التاريخ واللغة الحبشية وهو الآن يدرس اللغات الحبشية والسريانية والعبرانية في جامعة رومية

وقد نشر الاستاذ كتبا عدة في جميع اللغات السامية وفي القبطية وأما كتبه في العربية فهي حواش على شرح بانت سعاد لابن هشام.وزيادات في كتاب كايلة ودمنة خلت منها كل الطبعات الموجودة الآن ووجدت في الاصل.وتجريد خلافة عبدالملك والوليد وسليمان من تاريخ الطبرى.وحواش على كتاب الاستدراك للزبيدي وعلى كتاب الافعال لابن القوطية. وانشاء فهرست لكتاب الاغاني وفهرست لخزانة الادب الكبرى للبغدادى .ووقف على طبع جميع هذه الكتب في ايطاليا

ولم تكن هذه المؤلفات آثار الاستاذ جميعها فان له مقالات عديدة في أمهات الصحف والمجلات العلمية وأخصها مجلة نوفا انتولوجيا والمجلة الشرقية ومجلة الجمعية الاسيوية الايطالية ومجلة زيتشرفت دردونشن مرحبلندس جزلشاف ومجلة أعمال مؤتمرات المستشرقين وغيرها

ومن يعاشر الاستاذ كما عاشرناه مدة اقامته الوجيزة بين أظهرنا يرى منه حكيما محققا بصيرا ذا علم جم واطلاع واسع وآداب سامية واخلاق كريمة حتى امتلك بذلك قلوب عارفيه الذين احلوه المحل الارفع من نفوسهم حياه الله وأمتعنا بعلمه وفضله

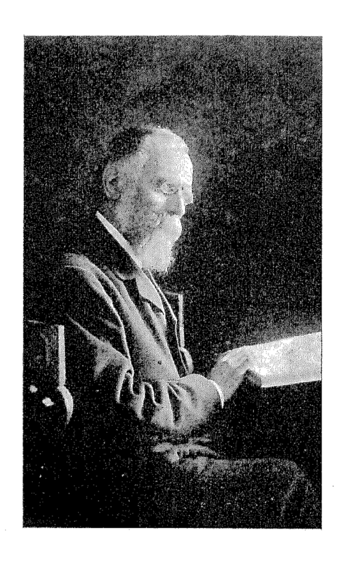


فهرست

﴿ أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب ﴾

عناوين هذه الفهرست مستنبطة من خلال الموضوعات وليس لها اشارة في منتصف الاسطر كما جرت العادة ولكن يجدها القارىء في الصفحة التي أشرنا اليها اما في أول سطر أو في خلاله





العلامة السنيور جويدي استاذ الادبيات في الجامعة المصرية

﴿ ١ ﴾

(جزئيات المحاضرة)

تحية القائمين بالجامعة وطلابها ـ الاعتذار عن اجادة النطق بالعربية ـ موضوع المحاضرات ـ أسباب سهولة الاشتغال بالجغرافيا لبعض الامم القديمة من اليونان والرومان والعرب

***

أيها السادة . انني مابلغت أن أكون أستاذاً في الجامعة المصرية المباركة فما هو إلا حسن ظن بي ممن دعاني الى تلك المنزلة السامية فأنا لا يسعني الا أن أشكر له حسن ظنه وأبي دعوته التى شرفت بها . وذلكم الداعي هو دولة الامير الجليل أحمد فؤاد باشا والسادة الأكابر أعضاء مجلس ادارتها لاسيما صديقي الفاضل أحمد زكي بك . ثم أشكر لكم أيها السادة هذا اللقاء الحسن وتلك المجاملة الوضيعة وان كان شكر عاجز مثلي لا يفي مايستحق دولة ذلكم الامير الفخم ولا من ذكرت من الاعضاء والاصدقاء والحاضرين الا كارم . غير انني مدفوع الى هذا الشكران رغم أنفي بتلك العوامل التي تختلج فؤادي

***

ثم انني كما ترون أخاطبكم بلغتكم الشريفة العربية وأنا كما تعلمون تلياني ولدت في رومية ونشأت بها وكل اجنبي عن لغة لابد له من التلعثم في استعمال تلك اللغة فاعذروني اذا تلعثم لساني في المحادثة بتلك اللغة الشريفة التى تطفلت على موائدها كطفيلي الاعراس وان كان بيني و بينه ائتلاف واختلاف فهو يحضر الولائم من غير دعوة وأنا انتجعت نجعة اللغة العربية بدعوة حسنها وغنائها وما حوت من كنوزها ونفائسها

***

ان الذي أريد أن أتوخاه في محاضراتنا التي . نفتتحها اليوم بهذه المحاضرة هو المناسبات بين ما صنف باللغة العربية وما صنف باللغات الاوروبية لاسيما لغة بلادنا

الايتاليـه ومعرفة صواب نصوص تلك الـكتب العربية وخطئها بالانتقاد الصحيح وذلك في ثلاثة فنون ـ الجغرافيا ـ التاريخ والاخبار ـ اللغة العربية وما وجد فيها من اللغات السامية واللاتينية والايتالية

ولنبدأ بمؤلفات علم الجغرافيا فنقول . مما لاريب فيـه ان مؤلفات العرب في الجغرافيا ابان القرون الوسطي من أجل ماألف في هذا العلم وذلك لاستيفاء شروط ثلاثة — اتساع الملك ـ التجارة وسعة العيش ـ الفطانة والذكاء ـ فلقداستوفت الامة العربية في القرون الوسطى تلك الشروط

* * *

ولنبحث عن أول من اشتغل بهذا العلم وتوفرت له أسبابه من الامم القديمة فنقول أمة اليونان لم يوجد بلا شك أمة قديمة أسد عقولا وأقوى فطنة من تلك الامة اليونانية التي نبغت في الشعر وبرزت فيـه التبريز كله ومن فحول شعرائها الذين سارت بذكرهم الركبان ولم يجهلهم انسان هوميروس صاحب الالياذة التى نقلت الى العربيـة حديثا وهي من أحسن ما كتب من نوعها وصاحب ادسيه ومنهم اسكيلس وسفكلس واستفاس وهم الذين اخترعوا الروايات التي تسمى بالفرنسية كوميدي ومصنفو أهل أوروبا وايتاليا في هذا الفن عيـال على هؤلاء الشعراء الاكابر فأخذوا عنهم وحذوا حذوهم

ولقد عنيت الامة اليونانية كذلك بالهندسة والبناء والنحت والتصوير ومن فحول علمائها في هذه الفنون الذين لايجهلهم أحد فيديس وبركسيتلس وغيرهما

ولقد بذت الامـة اليونانية كل الامم في اشتغالها بالفلسفة وكان لها فيها القدح المعلى بل هي أول الامم المشتغلة بذلك العلم الجليل ومن عظماء فلاسفتها أفلاطون وارسطاطاليس وهما أشهر من ألف في هذا العلم في العالم كله فدل ذلك على قوة اذهان اليونان ونور بصائرهم

ومع كل ماامتازت به تلك الامة القوية البأس لم تتصدر للتأليف في الجغرافيا لصغر مملكتهم . وهذا يدل على أن أكبر الشروط التى يلزم توفرها للنجاح في الاشتغال

بعلم الجغرافيا انما هو اتساع المملكة وذلك لان أمة اليونان كما قدمنا كانت من أحد الناس عقولا وكانت مشتغلة بالتجارة ومع هذا لم تلتفت الى علم الجغرافيا ولم تعن به

* * *

أمة الرومان وهم اللاتينيون الذين وصفهم ابن خلدون بأنهم من أشهر أمم الارض وله أن يقول ذلك فلم توجد على سطح المعمورة أمة أشد بأسا وأقوى سلطانا من اللاتينيين الذين دوخوا العالم وغلبوا كل الامم القديمة العاتية على أمرها ومع ما امتازت به من ذلك البأس وهذا السلطان لم يذكر لها تصنيف في علم الجغرافيا وذلك لان مملكتهم ما كانت متسعة في أول أمرها

* * *

ومثل اليونان والرومان عرب الجاهلية فانهم فقدوا شروط النجاح في ذلك العلم فلم يعرفوا فيه شيئا كسائر الفنون ولا عبرة بما ملئت به أشعارهم من أسماء الامكنة والجبال والمياه فان هذا لا يؤخذ عنه علم منسق مفيد ومن أمثال ورود أسماء الامكنة ماجاء في شعر امرىء القيس

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فانه ذكر جملة مواضع فى بيت واحد ولكن هذا لا يؤخذ عنه علم صحيح

فالامة العربية في الجاهلية جهلت الجغرافيا لعدم توفر أسباب النجاح فيها لاسيما التجارة البحرية لخوفهم ركوب البحر يدل على خوفهم من البحر ماروى من أن الوليد ابن يزيد استعمل الاسود بن بلال المحاربي على بحر الشام فقدم عليه أعرابي من قومه ففرض له وأغزاه البحر فلما أصابت البدوي تلك الاهوال قال شعرا منه

فلله رأيي قادني لسفينة ... وأخضر موّار السرار يمور

ترى متنه سهلا اذا الريح أقلعت ... وان عصفت فالسهل منه وعور

فياابن بلال للضلال دعوتني ... وما كان مثلي في الضلال يسير

لئن وقعت رجلاي في الارض مرة ... وحان لاصحاب السفين وكور

وسلمت من موج كأن متونه ... حراء بدت أركانه وثبير

لتعترضن اسمي لدي العرض حلقة　　وذلك ان كان الاياب يسير
وقد كان في حول الشربة مقعد　　لذيذ وعيش بالحديث غرير

ومن أسباب جهلهم الجغرافيا عدم اشتغالهم بالنجوم فانهم ما كانوا يرقبونها الا لمعرفة الامطار لا لمعرفة علم النجوم نفسه اذ كانوا يعتقدون أن المطر من النجوم ولذلك نهاهم الاسلام عن هذا الاعتقاد بحديث هو (من قال سقينا بالنجوم فقد آمن بالنجوم وكفر بالله ومن قال سقانا الله فقد آمن بالله وكفر بالنجوم)

فلما اتسع ملك العرب في صدر الاسلام نشأ عندهم علم الجغرافيا فصنفوا فيه كتباً عديدة هي خير ما صنف في القرون الوسطى من تلك المصنفات (المسالك والممالك) لعبيد الله المعروف بابن خرداذبه (وصورة الارض) لابي موسى الخوارزمي و(صور الارض) لابي زيد البلخي و(كتاب البلدان) لليعقوبي وغيرهم

فاذا كان الامر كذلك وكانت كتب العرب في الجغرافيا في هذه المنزلة من عظيم القدر وجب أن تتفهم هذه المؤلفات وننظر أصلها ومصادرها ونميز خطأها من صوابها وذلك بانتقاد صحيح لننتفع بعلمها ومكنون أسرارها. فان جهل كثير من النساخ شوه وجه تلك الكتب الثمينة. فمن ذلك ماجاء في معجم البلدان لياقوت الحموى فانه ذكر «فرتنى» في باب الفاء نقلا عن الصحاح فيما يظهر فقال «فرتني» بفتح أوله وسكون ثانية وتاء مثناة من فوق ونون مفتوحة مقصور. قصر بمرو الروذ وكان ابن خازم قد حاصر فيه زهير بن ذؤيب العدوى الخ ثم ذكر في باب القاف من هذا الكتاب نفسه نقلا عن الطبري فيما يظهر قوله (قصر قرتنا) بفتح القاف والراء وسكون النون وياء موحدة موضع بخراسان وقيل بمرو كانت فيه وقعة لعبد الله بن خازم ببني تميم فهو يوم قرتنا فالقصر واحد ولكن حرف الاسم فصار أسمين وأصل هذا التحريف من الناسخ الذى نسخ كتاب الطبرى. ولا لوم على ياقوت نفسه فانه نقل الاسم الاول عن الصحاح فوضعه في موضعه ثم نقل الثاني عن الطبرى ووضعه في موضعه. وأغلاط النساخ كثيرة فانهم كثيرا مايتركون النقط والشكل فيفسدون المعني ويغيرون مراد الكاتب وسنذكر من ذلك أمثلة كثيرة في المحاضرات الآتية

أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب

٢

بعض علماء الجغرافيا المعدودين — مبادىء اشتغال اليونان والعرب بعلم الجغرافيا وبعض من ابتدءوا بها من الامتين ـ الامور التى مهدت سبيل علم الجغرافيا لبعض الامم القديمة ـ صورة الارض التى صنعها الرومانيون ـ بطليموس وتآليفه

***

من علماء الجغرافيا المعدودين الذين علا كعبهم في هذا الفن وتميزوا فيه عن النظراء بطليموس وهو من أعيان العلماء المبرزين في علمى الجغرافيا والتنجيم وكل من اشتهر بعده من العلماء القدماء في هذين الفنين عيال عليه اكتفوا من التأليف فيهما بشرح مؤلفاته أو تلخيصها وكان بطليموس في القرن الثانى بعد المسيح . وقد نسبت اليه تآليف كثيرة بعضها ليس له وانما نسب اليه زورا وبهتانا . وسنكتفى من تلك المؤلفات بذكر ماهو له وقبل أن نذكر منها شيئا يحسن أن نتصدر لايضاح شىء من أساليب الابتداء في علم الجغرافيا عند اليونان وتبيين الامور والحوادث التى سهلت ومهدت السبيل للتأليف في هذا العلم فنقول .

أول ما اشتغل به علماء اليونان من هذا العلم أخبار المدن كانينا فجعلوا لكل مدينة من مدنهم التي ملكوها وحلوا فيها تاريخا وهم في هذا كالامة العربية لاننا نرى قبل الطبري والبلاذرى والواقدى من مؤرخى العرب ناسا عنوا بأخبار المدن كالازرقى فانه ألف كتاب (أخبار مكة) وكالفاسى والفاكهى فانهما ألفا كتابين فى أخبارها كذلك وكابن زبالة فانه ألف كتاب (أخبار المدينة) وكعمر بن شبة فانه ألف كتاب (أخبار الكوفة والبصرة) وعناوين هذه الكتب تدل على موضوعها وعلى صدق ما نقول . ففى أوائل الاشتغال بالتاريخ يتفق العرب واليونان .

فممن اشتغل من علماء اليونان بأخبار المدن العالم الفذ الذي جاب بريد ذكره الآفاق هيرودتوس الذى سافر الى بلاد بعيدة ذكر فى كتابه من أخبارها ما شاهده ورآه بعينه ومن تلك البلاد التى ذكرها بعد سفره الشام غير أن كتابه هذا كتاب

أخبار وهو من المؤرخين لا الجغرافيين ولقد سمي أبا التاريخ ولم يسم أبا الجغرافيا .

ومنهم (ملاح) اسمه باتيوس من مدينة مارسيل بفرنسا وكان في القرن الرابع قبل المسيح وقد نسبت اليه اكتشافات منها أن نجمة القطب ليست في القطب ذاته ولكنها بعيدة عنه بقليل وهو الصواب . ومنها ان القمر بأحواله سبب مد البحر وجزره ونسبة هذا الاكتشاف الاخير اليه مما يرتاب في صحتها

ومنهم رجل اسمه ديسياركس ظهر في القرن الثالث قبل الميلاد من مدينة مسينا بايتاليا وكان تلميذ ارسطاطاليس وألف كتابا سماه باليونانية باريودوس تيس جيس ومعناه بالعربية الطواف حول الارض ولا بد أن يكون هذا الكتاب قد اشتمل على شيء من علم الجغرافيا غير أنه مفقود

ومنهم هيراطستنيس ظهر في القرن الثانى وكان من الفلكيين المشهورين وكان من العلم في أعلى ذروة منه وله اكتشافات عظيمة كمدار الشمس وملاحظات في النجوم مفيدة في تعيين الامكنة ولكون علم النجوم والفلك يعين على النجاح في علم الجغرافيا لتعيين مواقع الامكنة ساعد ذلك هيراطستنيس على تصنيف كتاب في الجغرافيا سماه جغرافيكا أى المسائل الجغرافية ويشتمل هذا الكتاب على ثلاث مقالات الثالثة منها في تفسير صورة الارض ولكن ذلك الكتاب مفقود .

كل ذلك كان بعد أن تغلب اسكندر ذو القرنين على المشرق وتسلط اليونان على المغرب والمشرق حتى تسلطوا على الربع المسكون ولما تسلطوا على العالم كله شرعوا الشرائع وأقاموا البريد وهذه الامور تسهل معرفة الارض . و بناء على ذلك رسم الرومانيون صورة الارض. ابتدأ ذلك أغريبا وأكمل الرسم في زمن أغسطس أى قبل زمن المسيح بقليل وكان مرسوما في هيكل من هيا كلهم .

ولا يخفى ان كل هذه الامور وتلك الصور وهذه المؤلفات التى حدثت في المملكة الرومانية في القرن الثانى بعد المسيح سهلت الوصول ومهدت السبيل لدرس الجغرافيا .

وفي ذلك القرن ولد بطليموس كما قلنا فوجد السبيل ممهدا والاسباب مهيأة للنجاح فى علم الجغرافيا فانتفع بتلك الاحوال وصنف كتبا جليلة في الجغرافيا الرياضية أى

الفلكية وقد اشتهرت بين اليونان واعتنى الرومان بتفصيلها ولم يزدها أحد ممن جاء بعد بطليموس شيئا وانما اقتصروا جميعا على تفصيلها أو تلخيصها .

فممن فسر شيئا من كتب بطليموس تاون الاسكندرى (وهو أبو ايباتيا المشهورة البصيرة بعلم الفلسفة قتلت في الاسكندرية)

ومنهم باتيس وآخرون

فمن جاء بعد بطليموس من العلماء الاقدمين لم يأت بشيء جديد وانما شرحوا كلامه وبقيت تصانيف بطليموس على ما كانت عليه وهى الركن الركين والعضد المتين في الفلك والجغرافيا ونستطيع أن نقول ان الكتب المعتمدة المعوّل عليها في الجغرافيا والفلك وقت ظهور الاسلام انما هى كتب بطليموس التى سنذكرها بعد الآن وهى أربعة كتب أولها المجسطى وكتاب الاربعة والزيج وهى في الفلك والرابع في الجغرافيا واسمه الجغرافيا وسيأتى الكلام على هذه الكتب الاربعة فى المحاضرة الآتية

— ٣ —

جزئيات المحاضرة

تآليف بطليموس — رغبة العرب في اكتساب علوم الروم والفرس بعد أن تغلبوا على بلدانهم — خالد بن يزيد الاموى — اهتمام المنصور وهارون الرشيد والمأمون بنشر العلوم ونقل الكتب اليونانية الى العربية

***

التآليف المنسوبة الى بطليموس كثيرة غير ان بعضها ليس له وقد نسب اليه زورا كما ذكر ذلك قبلا وسنكتفى هنا بذكر مالا يرتاب في أنه له وهى كتبه الاربعة التى سارت بذكرها الركبان وأولها الكتاب المسمي باليونانية megali sin toxistis astronomias ومعناه بالعربية (الترتيب الكبير في علم الفلك) وقد عرف عند العرب بالمجسطي . والثانى اسمه كتاب الاربعة . والثالث اسمه الزيج أى زيج بطليموس . وهذه الكتب الثلاثة فى الفلك . والرابع اسمه كتاب الجغرافيا وهذه الكتب هى المعتمد عليها في علم الفلك وعلم الجغرافيا وكانت نماذج للمؤلفين ومرجعا لهم منذ ابرازها الى ظهور الاسلام والى زمان خلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس . فكل التآليف التي

صنفت في علم الفلك والجغرافيا في تلك الازمان لم يذكر فيها شيء خلت منه كتب بطليموس وانما كانت تلك التآليف مفصلات لكتبه أو ملخصات لها أو مقتبسة منها و بقيت العلوم على هذه الحال الى القرن الخامس عشر بعد المسيح أيام استولت الدولة العثمانية على مصر

ولما ظهر الاسلام وابتدأ في الجهاد والقتال مع الفرس والروم وحدثت في أيام أبي بكر الصديق وقعة اليرموك سنة ١٣ هجرية التى هزم فيها خالد بن الوليد وأبو عبيدة جنود هرقل ملك الروم كانت تلك الهزيمة وفتح اليرموك سببا فى فتح الشام. فنى هذه السنة في أيام عمر بن الخطاب فتح أبو عبيدة وخالد وعمرو بن العاص دمشق وحمص وحماه وسائر بلاد الشام حتي قيل أن ملك الروم سلم هذه البلاد تسليم من لايرجو أن يعود اليها . هذا ما كان من أمر الشام

أما العراق ففى سنة ١٥ ه حدثت وقعة القادسية بين الفرس وقائدهم رستم و بين المسلمين وقائدهم سعد بن أبي وقاص الذى هزم جيش الفرس وكسر شوكتهم ففر قائدهم رستم ذلك البطل المغوار وقتل من الاعداء عدد لايحصى حتي قال الشاعر

ألم تر أن الله أنزل نصره　　وسعد بباب القادسية معصم
فأبنا وقد آبت نساء كثيرة　　ونسوة سعد ليس فيهن ايم

و كان فتح القادسية سببا في فتح العراق كما كان فتح اليرموك سببا في فتح الشام

فلما استولى العرب على بلاد الروم واستقر ملكهم فيها رأوا ماعليه الروم من العلوم والمعارف فرغبوا فيها وجدوا في تحصيلها كما رغب الرومانيون أنفسهم في اكتساب علوم اليونان بعد أن أستولوا على أقطارهم فان الرومانيين قبل استيلائهم على بلاد اليونان لم يتنبهوا للعلوم ولم يلتفتوا ألا الى الحروب والمعارك ولما استولوا على بلاد اليونان اشتغلوا بالعلوم وأخذوا في دروس الفلسفة وأكرموا الشعراء وأصحاب الفنون كالمصورين و بنوا أبنية عجيبه في مدينة رومية حتى صارت من عجائب الدنيا .

في القرن الاول من الهجرة برع خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وكان بصيرا بعلمى الكيمياء والطب وكان يسمى حكيم آل أمية وكانت له همة عالية ومحبة شديدة في العلم . قيل انه أحضر جماعة من العلماء وكلفهم بنقل الكتب اليونانية

الى العربية وهذا أول نقل كان في الاسلام من لغة الى أخرى وقيل انه أخذ الصناعة عن راهب اسمه مريانوس الرومى وأمر استفان القديم بنقل كتب يونانية ولاتينية الى اللغة العربية وكانت وفاة خالد بن يزيد المذكور في سنة ٨٥ ﻫ . وعنى بالعلوم كذلك خلفاء بني العباس كالمنصور وهارون الرشيد لاسيما المأمون . حكي أن المأمون رأى فى منامه ارسطاطاليس فحضه علي طلب العلم . هذه رواية تحتمل الصدق والكذب وعلى كل حال لاشك في أن المأمون من عشاق العلوم وكان مغرما بعلوم الاوائل وجرت بينه وبين ملك الروم مراسلات في شأن العلم واستأذنه في انفاذ من يجمع الكتب المدخرة في خزائن الروم فأذن له ملك الروم فأنفذ الحجاج بن مطر ويحيي بن البطريق ويوحنا ابن ماسويه وغيرهم فذهبوا الي مدن الروم وجمعوا ماجمعوا من الكتب النفيسة ثم شرعوا في تفسيرها ونقلها الى العربية

— ٤ —

جزئيات المحاضرة

دار الحكمة في بغداد . خزانة الكتب في تلك الدار . مدرسة القسطنطينية التى أنشئت على عهد دار الحكمة . منافسة العرب والروم في نشر العلوم . بعض الكتب التي نقلت الى اللغة العربية في أيام المنصور وهارون الرشيد والمأمون . بعض مشهورى علماء العرب . تحقيق طول محيط الارض في زمن المأمون .

* * *

من الامور التى أحيت العلوم فى الامة العربية اقامة دار الحكمة في بغداد . قيل أن الذى أنشأها هو هارون الرشيد وليس ببعيد أن يكون هذا القول صحيحا . غير أن الذى لاريب فيه أن المأمون بن هارون الرشيد هو الذى عمر هذه الدار وأنضرها وكان فى تلك الدار خزانة كتب قيمة كان علماء ذلك العصر يجتمعون فيها للدرس والبحث والمذاكرة فمن هؤلاء العلماء الذين ازدانت باجتماعهم تلك الخزانة سلم وأبو حيان وقيل أبو حسان اختلف فيه لان كلا الاسمين يلتبس بالآخر

وقيل كان علان الشعوبى ينسخ من تلك الخزانة كتبا للرشيد وللمأمون وللبرامكة

وكان ابن أبي الحريش يجلد هذه الكتب وهو معروف بهذه الصناعة

ولا يخفى مافي انشاء تلك الدار وهذه الخزانة والاشتغال فيهما بالدرس والبحث والمذاكرة والنسخ وغير ذلك من أمثال تلك الامور لايخفى مافي كل ذلك من تسهيل نشر العلم واحيائه في الامة العربية

ومن الغرائب أن مدرسة تشبه دار الحكمة في بغداد أنشئت في ذلك الزمان في القسطنطينية أنشأها برادس وهو أخو امرأة توفيل بن ميخائيل ملك الروم .

ومن الذين ذللوا عقبات النجاح في العلوم عند الروم الملك قسطنطين الثاني كان مغرما بالعلم مكبا على تحصيله وألف كتبا بنفسه وأمر علماء مشهورين بتأليف بعض آخر

فالعلوم ظهرت زاهية ناضرة في الامة الرومانية كما ظهرت في الامة العربية

وكان الروم والعرب يتسابقون ويتبارون في نشر العلم واحيائه وفي هذه المسابقة وتلك المباراة فوائد جمة للامتين فان التنافس كلما كثر كلما انتفع به المتنافسون .

فمن منافسة الامة العربية عنايتها بنقل الكتب من اللغة اليونانية الى العربية ولقد ذكرنا قبلا أن كتبا كثيرة نقلت عن اليونانية الى العربية في زمن المنصور والرشيد والمأمون اعتنى بنقلها كثير من العلماء وسنكتفي منها بذكر كتب بطليموس

وأنفس تلك الكتب وأولها المجسطى فى علم الفلك وهو جليل القدر ولقد قيل أن كتبا ثلاثة اشتملت على جميع العلم الذي ألفت فيه وهي المجسطي فى الفلك لبطليموس وكتاب المنطق لارسطاطاليس وكتاب سيبويه في النحو

قال صاحب الفهرس أن يحيي بن خالد بن برمك عنى بتفسير المجسطى وباستخراجه وذهب قوم الى أنه هو الذى نقله بنفسه من اليونانية الى العربية وهذا بعيد والارجح عندى انه أمر بنقله غير ان المفسرين لم يحسنوا نقله فندب يحيي سلما مع أبي حسان أو أبى حيان فأحسنا نقله مرة ثانية ثم نقله مرة أخرى الحجاج بن يوسف بن مطر وسرجون الرومى وهذا في أيام المأمون . وفسره آخرون من المتأخرين ولخصه محمد بن كثير الفرغاني .

اسم المجسطى غريب وكان عنوانه باليونانية megali sin tox is tis as tronomias (ميجالى سنتا كسيس) قيل ان العرب أخذوا نصف الاسم الاول ميجا ثم نصف

الثانى كسيس فقالوا ميجا كسيس ثم حولوه فقالوا المجسطى

والكتاب الثانى من كتب بطليموس كتاب الاربعة في علم النجوم استخرجه البطريق في أيام المنصور ثم نقله مرة ثانية ابراهيم بن الصلت وأصلح هذه النسخة حنين ابن اسحاق المشهور .

والكتاب الثالث الزيج أى بزيج بطليموس شرحه أيوب وسمعان وذلك في أيام هارون الرشيد .

والكتاب الرابع وهو كتاب الجغرافيا نقله بعض علماء السريان الى العربية طلب ذلك منهم الكندى الفيلسوف المشهور ويشهد صاحب الفهرس أنه نقل نقلا رديئا لايرتق فتقه ولا يرقع وهيه فاضطر الى نقله مرة أخرى نقلها ثابت بن قرة المشهور .

ومن الغرائب انه بعد سبع قرون أمر محمد الغازي فاتح القسطنطينية باستخراج كتاب الجغرافيا .

هذا ومن مشاهير علماء العرب بنو موسى بن شاكر وهم محمد وأحمد والحسن الذين ينسب اليهم جبل بني موسى قال ابن خلكان . وكانت لهم همم عالية في تحصيل العلوم القديمة وكتب الاوائل وأتعبوا أنفسهم في شأنها وأنفذوا الى بلاد الروم من أخرجها لهم وأحضروا النقلة من الاصقاع الشاسعة والاماكن البعيدة بالبذل السنى فأظهروا عجائب الحكمة وكان الغالب عليهم من العلوم الهندسة والحيل والحركات والموسيقى والنجوم وهو الاقل ولهم في الحيل كتاب عجيب نادر يشتمل على كل غريبة ولقد وقفت عليه فوجدته من أحسن الكتب وأمتعها وهو مجلد واحد

قال ومما اختصوا به في ملة الاسلام وأخرجوه من القوة الى الفعل وان كان أرباب الارصاد المتقدمون على الاسلام قد فعلوه لكنه لم ينقل ان أحدا من أهل هذه الملة تصدى له وفعله الا هم وهو ان المأمون كان مغرما بعلوم الاوائل وتحقيقها ورأى فيها أن دورة كرة الارض أربعة وعشرون ألف ميل كل ثلاثة أميال فرسخ فيكون المجموع ثمانية آلاف فرسخ بحيث لو وضع طرف حبل على أي نقطة كانت من الارض وأدرنا الحبل على كرة الارض حتى انتهينا بالطرف الآخر الى ذلك الموضع من الارض والتقى طرفا الحبل فاذا مسحنا ذلك الحبل كان طوله أربعة وعشرين ألف ميل فأراد المأمون أن يقف على حقيقة

ذلك فسأل بني موسى المذكورين عنه فقالوا نعم هذا قطعي. وقال أريد منكم أن تعملوا الطريق الذي ذكره المتقدمون حتى نبصر هل يتحرر ذلك أم لا فسألوا عن الاراضى المتساوية في أى البلاد هي فقيل لهم صحراء سنجار في غاية الاستواء وكذلك وطاءت الكوفة فأخذوا معهم جماعة ممن يثق المأمون باقوالهم ويركن الى معرفتهم بهذه الصناعة وخرجوا الى سنجار وجاءوا الى الصحراء المذكورة فوقفوا في موضع منها فأخذوا ارتفاع القطب الشمالى ببعض الآلات وضربوا في ذلك الموضع وتدا وربطوا فيه حبلا طويلا ثم مشوا الى الجهة الشمالية على استواء الارض من غير انحراف الى اليمين واليسار حسب الامكان وكلما فرغ الحبل نصبوا في الارض وتدا آخر وربطوا فيه حبلا طويلا ومشوا الى جهة الشمال أيضا كفعلهم الاول ولم يزل ذلك دأبهم حتى انتهوا الى موضع أخذوا فيه ارتفاع القطب المذكور فوجدوه قد زاد على الارتفاع الاول درجة فمسحوا ذلك القدر الذى قدروه من الارض بالحبال فبلغ ستة وستين ميلا وثلثى ميل فعلموا أن كل درجة من درج الفلك يقابلها من سطح الارض ستة وستون ميلا وثلثان ثم عادوا الى الموضع الذى ضربوا فيه الوتد الاول وشدوا فيه حبلا وتوجهوا الى جهة الجنوب ومشوا على الاستقامة وعملوا كما عملوا في جهة الشمال من نصب الاوتاد وشد الحبال حتى فرغت الحبال التى استعملوها في جهة الشمال ثم أخذوا الارتفاع فوجدوا القطب الشمالى قد نقص عن ارتفاعه الاول درجة فصح حسابهم وحققوا ماقصدوه من ذلك



أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب

٥

جزئيات المحاضرة

أسماء علماء العرب الذين اشتهروا فى القرن الثانى والثالث من الهجرة فى علم الجغرافيا وأسماء كتبهم.

* * *

كما انتفع علماء العرب بالمجسطى فى علم الفلك لبطليموس كذلك انتفعوا بكتابه في علم الجغرافيا فهم يرجعون فى تآليفهم اليه ويعولون عليه. ومن القرن الثاني للهجرة فصاعداً تتابع مؤلفو كتب الجغرافيا فى الامة العربية وكثروا فهم كما قال الشاعر

نجوم سماء كلما غاب كوكب بدا كوكب تأوى اليه كواكبه

فمن مذكوريهم أبو موسي الخوارزمي الذي نبغ وبذ أقرانه في أيام المأمون والواثق بالله من خلفاء بنى العباس فألف كتابا سماه (صورة الارض) حذا فيه حذو بطليموس واقتفي أثره غير أنه جاء بكتاب جديد ممدوح مستحسن ولا يوجد الان فيما نعلم من هذا الكتاب النفيس الا نسخة واحدة كانت قبلاهنا فى مصر وهى الآن فى المانيا اشتراها بعض العلماء

ومن مشهوري علماء العرب أبو القاسم عبدالله بن خرداذبه كان جده مجوسيا ثم أسلم على يد البرامكة وكان ابنه أبو القاسم المذكور عاملا على البريد فى الجبال فأعانه عمله هذا على تأليف كتابه المشهور (المسالك والممالك) وهو من أجل ماصنف فى وصف مملكة العرب حرره فى مدينة سامرا بعيد سنة ٢٣٠ هـ وله مؤلفات جدية وهزلية منها كتاب الطبيخ وكتاب فى الشراب.

ومنهم ابن واضح اليعقوبي كان بصيرا بعلمي الجغرافيا والتاريخ ألف كتابا سماه (كتاب البلدان) وهذا في سنة ٢٧٨ هـ

ومنهم ابن الفقيه الهمذاني من بـلاد فارس ألف كتابا سماه (كتاب البلدان) كذلك . وذلك فى ٢٩٠ هـ تقريبا غير ان كتابه مفقود ولم يقع علماء عصرنا الاعلى موجز منه أوجزه على بن جعفر الشيزري

ومنهم عمر بن رسته كان موجودا فى أواخر القرن الثالث حرر كتابا فى علة عـلوم منها الجغرافيا سماه (الاعلاق النفيسـة) وكتابه هـذا سبعة أجزاء الجزء السابع منها في الجغرافيا

ومنهم على بن فضلان أرسله المقتدر بالله سفيرا الي ملك البلغارفى سنة ٣٠٩ فساعده ذلك على تأليف رسالة يذكر فيها أحوال الامم الشمالية .

ومنهم قـدامة بن جعفر الذي ألف كتاب الخـراج وضمنه أخبارا كثيرة تتعلق بأحوال مملـكة العرب و بأحوال الممالك المتاخمة لها .

ومنهم الجيهاني الذي أبرز كتابا فى الخراج يشبه كتاب قدامة غـير ان كتابه مفقود .

ومنهـم أبو دلف مشعر صاحب (عجائب البلدان) لم يصف فى كتابه الا المشرق الاقصي و بلاد الصين والهند وجزائر الهند فـلا نطيل الـكلام فى استقصاء البحث عن هذا الـكتاب لاننا لا نتصدر فى محاضراتنا هذه الا لذكر الـكتب التي تعرض مؤلفوها لوصف بلاد اوروبا .

ومن مشهوريهـم واعيانهم ابو زيد البلخى الذي الف كتاب (صور الاقاليم) وهو كتاب معترف له بالفضل وجليل القدر عند العلماء كافة وهو مفقود على مايظهر غير ان ابا اسحاق الفارسى الاصطخري نقل اكثره وضمنه كتابه المسمى (مسالك الممالك) الذي ابرزه فى سـنة ٣٤٠ هـ ثم اصلحه ابو القاسم بن حوقل البغدادي وزاده فى مواضع ونقصه فى اخري فأبرزه ابرازا ثانيا وذلك فى سنة ٣٨٠ هـ

هؤلاء بعض علماء الجغرافيا عنـد العـرب فى القرنين الثاني والثالث الذين استطعنا ذكرهم فى هذه المحاضرة وتلك كتبهم رتبناهم على حسب ازمانهم وسنذكر ان شاء الله في المحاضرة الآتية سائرهم فى هذين القرنين الثاني والثالث

(٦)

جزئيات المحاضرة

تتمة علماء الجغرافيا عند العرب فى القرن الثاني والثالث . معنى لفظة جغرافيا واشتقاقها . موضوع الجغرافيا فى بدء الاشتغال به . مبادي‌ء تصوير الارض عند المصريين فى ايام الفراعنة وعند الاثوريين . الصور القديمة عند اليونان . مايشتمل عليه كتاب بطليموس فى الجغرافيا . اعتناء الرومانيين بتصوير الارض . واعتناء العرب كذلك

***

ذكرنا قبلا فى المحاضرة الفائتة اكثر علماء الجغرافيا فى هذين القرنين والآن سنذكر سائرهم فى هذه المحاضرة .

فمن المشهورين فى هذا الفن ابوعبدالله محمد شمس الدين المقدسى نسبة الى بيت المقدس لانه ولد فيه ومن الناس من يسميه المقدسي (بضم الميم وفتح القاف والدال المشددة) وكلاهما صحيح الف كتابا فى سنة ٣٧٥ هـ سماه (احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم) ثم اصلحه وأبرزه ابرازا ثانياً ولم يتعرض فى كتابه هذا لذكر بلاد الافرنج واهلها عمدا منه لانهوا بل اقتصر فيه على ذكر البلاد الاسلامية التى جابها وطوى شرقها وغربها فى مدة ٢٠ سنة وعلى ذكر مافيها من المفاوز والجبال والبحار والانهار والبحيرات والمدن والامصار وغير ذلك مما شاهده واجاد وصفه وحرره .

ومن أعيانهم واجلائهم علي بن الحسين المسعودي صاحب التآليف العديدة منها كتاب (التنبيه والاشراف) و (مروج الذهب) الذي أوجز فيه كتابين ألفهما قبله وهما اخبار الزمان وكتاب الاوسط . حل المسعودي من العلم فى أعلى منار منه وضرب فى علمي الجغرافيا والتاريخ بسهم نافذ حتى سماه ابن خلدون اماما للمؤرخين . أعانه على التبريز والتفوق فى هذين العلمين رحلاته الكبيرة فانه جاب الآفاق حتى بلغ الشرق والغرب وقال عن نفسه

نيمم أقطار البلاد فتارة * لدى شرقها الاقصى وطوراً الى الغرب

وأودع كتبه ماشاهده ورآه بعيني رأسه في أسفاره وما رواه عن الثقات . وذكر

فيها تآليف كانت منتشرة شائعة فى أيامه ثم فقدت فلا تعرف لها الآن آثار منها كتاب الحكيم الكندي المسمى بـ(رسم المعمور من الارض) ثم توفى المسعودي بعد ان أبلي بلاء حسناً فى طلب العلم واقتناص فوائده وضم فرائده فى الفسطاط على ماقيل وذلك سنة ٣٤٥ هـ

***

ولفظ الجغرافيا معرب عن اليونانية وهو مركب فى الاصل من كلمتين الاولى(جي) أي الارض والثانية (جرافى) أي الرسم والتصوير فمعنى الكلمة الاصلي ليس هو القول على الارض او قطع الارض كما زعم المسعودي بل هو رسم الارض وتصويرها وفى الحقيقة كان مجال الجغرافيا فى الارض تصوير البلاد ومجال كتبها شرح هذه الصور.

***

الصور المنسوبة الى المصريين فى ايام الفراعنة والاثوريين لايعبأ بها لقصرها على مسافة محصورة

وفى القرن السادس قبل المسيح خطط يونانى اسمه انا كسمندرس صورة الارض وجاء بشيء غير تام بيد ان له فضل المتقدم ثم حذا حذوه هيكاتاوس اليوناني والذي فاق المتقدمين هو اراطستنيس الذي صور الارض تصويرا حسناً لم يصنع مثله من قبله ثم اشتهر بعده كراتس ثم بعده بقليل مريونس وجميع هذه الصور مفقودة لا يوجد فى هذه الايام

واذ كان اصل الجغرافيا هو رسم الارض كان اصل هذه الكتب المفقودة فى هذا العلم شرح هذه الصور

اما كتاب بطليموس المشهور فانه كان يحتوي على جملة صور تصور الارض بلدا فبلدا وقد فسرها المصنف فى سياق كلامه.

وقد تقدم القول فى رسم الارض الذي صوره الرومانيون فى ايام اغسطس وهو منقوش على حائط هيكل من هيا كلهم.

وكذلك سيأتي القول على مؤلفات العرب فى صور الاض مثل كتاب الصور للبلخى والصورة المأمونية.

ولقد كانت هذه الصور اجل عامل فى رقي الدول ومدنيتها واتساع ممالكها

- ٧ -

جزئيات المحاضرة

كثرة صور الارض وشيوعها عند العرب فى الجيل الثاني والثالث وكتب حكمائهم. ذكر الصورة المأمونية وغيرها. تأثير هذه الصور فى توسيع مملكة العرب على عهد العباسيين. ذكر ماجاء فى كتب الجغرافيا التى وصفها العرب من اخبار بلدان الافرنج. علم حكماء العرب ببلدان الافرنج

∴

ذكرنا قبلا ان صور الارض كثيرة شائعة عند الامم القديمة. ولا يخفي منافع هذه الصور لاهل الدولة لاسيما الدول المتسعة ممالكها. وذلك لانفاذ الامر والنهى الى الاقطار البعيدة والاصقاع الشاسعة ولتسهيل عمارة البلاد وسياستها وتدبير أمورها

ولقد تنبه حكماء العرب الى فضل هذه الصور وعرفوا احتياج مملكتهم الى تأليف كتب في الجغرافيا يصور فيها رسم الارض فوضعوا في ذلك كتبا كثيرة جليلة ملئت بالصور فمعظم كتاب أبي زيد البلخي كان يتألف من رسوم حتي سمى (صور الاقاليم) وكذلك كتاب الحكيم الكندى المسمي (رسم المعمور من الارض) وكتاب الخوارزمي وعنوانه (صورة الارض) وعناوين هذه الكتب تدل على موضوعها فان جميعها يرجع الى تصوير الارض .

∴

وليس حكماء العرب هم الذين عنوا دون غيرهم من الامة العربية برسم صورة الارض بل أن أمراءهم كذلك ومنهم أمير المؤمنين المأمون الخليفة العباسى فانه أغرم برسم صورة الارض وبذل قصارى جهده في ابرازها فجمع ممن بالعراق من حكماء دولته زهاء سبعين حكيما على ماقيل فاجتمعوا على تكوينها وأحكامها حتي فضلت بذلك ماتقدمها من الصور. ولقد ذكر المسعودى هذا الرسم المأموني بقوله. وفي الصورة المأمونية التي عملت للمأمون اجتمع على صنعتها عدة من حكماء أهل العصر وصور فيها العالم بأفلاكه ونجومه وبره وبحره وعامره وغامره ومساكن الامم والمدن وغيرذلك وهي أحسن مما تقدمها من

جغرافية بطليموس وجغرافية مارينوس

وفي مدينة برلين من أعمال ألمانيا مخطوط يشتمل على مثل هذه الصور وزعم بعض حكماء عصرنا أنه كتاب البلخى وليس بيقين . وزعم المقدسى أنه رأي عدة صور تمثل بحر الهند والصين رسمت على ورقة في خزانة أمير خراسان ثم على (كرباسة) قطعة من قماش في مدينة نيسابور ثم في خزانة عضد الدولة

ثم ذكر المقدسى هذه الصور الثلاثة فقال انها تمثل شيئا واحدا ولكنها مختلفة وعبارته (وكل مثال يخالف الآخر)

والخلاصة أن صور الارض والبحار والمدن كانت كثيرة شائعة في تلك الايام وعليها بنيت كتب الجغرافيا وسنذكر بعض مدن أوروبا المذكورة في هذه الكتب القديمة

∴

ولقد أفادت هذه الصور أهل الدولة على ملك بني العباس لاتساع مملكة الاسلام اذ ذاك من المغرب الاقصى الى الهند والى ماوراء النهر فسهلت عليهم سياسة ملكهم وتدبير أمورهم وقضاء مصالح رعاياهم في تلك الاقطار الواسعة والبلاد الشاسعة

أما بلدان الافرنج وشعوبهم المذكورة فى كتاب البلخى على ما نقله عنه الاصطخرى فهى الجلالقة والصقالبة وروميةواثيناس وزاد عليه ابن حوقل فذكر قلوريةوالانكبردة ونابل وملف وغيرها وذكر المسعودي باري وتارنتو .

أما الجلالقة فهم سكان جليقيا في شمال جزيرة الاندلس

أما الصقالبة فهم المسمون الآن السلاف وكلاهما أى الجلالقة والصقالبة شعوب متاخمة لبلاد الاسلام ولبلاد الروم غير انه لم يبلغ علماء العرب من أخبارهم الا شيء يسير لايعبأ به فأما أخبار رومية فسيأتي الكلام عليها فى موضعه وفي أثناء ذلك تسلط بنو ابراهيم بن الاغلب على جزيرة صقلية على يد زيادة الله فأخذ المسلمون يترددون على صقلية فبلغهم خبر البلاد المجاورة لها وعلموا منها شيئا كثيرا ولذلك نري أبا القاسم ابن حوقل يزيد على الاسماء المدونة في كتاب الاصطخرى أخبارا مفصلة تتعلق بصقلية لأنها قد صارت دار الاسلام ثم ذكر ابن حوقل قلورية والانكبردة ونابل وملف

فمعرفة حكماء العرب ببلدان الافرنج ليست كثيرة وانما هي يسيرة فوق الحد الا

مايختص منها بمدينة رومية وعجائبها وسيأتي القول على مدينة رومية فى غير هذا الموضع

٨

جزئيات المحاضرة

ـ المدن التى ذكرها المسعودى مثل بارى وتارنتو في جنوب ايتاليا . عدم ذكر سائر المدن المشهورة في أوروبا في ذلك الوقت الا مدينة رومية . سبب جهل العرب مدن أوروبا . بعض علماء العرب فى علم الجغرافيا من القرن الرابع الى القرن العاشر و بعض كتبهم . فائدة هذه الكتب في معرفة ايتاليا وأوروبا

***

ذكرنا قبلا اسم انكبردة وقد ذكره المسعودى في كتابه وذكر الوشكنس والغرطس وكذلك بارى وتارنتو وغيرهما وجميع هذه المدن في جنوب ايتاليا على شاطيء البحر فكان المسلمون يغيرون عليها من سواحل صقلية ويختلفون اليها فبلغ خبرها علماء العرب في الشرق .

فحكماء العرب من الجيل الثاني الى الخامس لم يخبروا من بلاد الافرنج الا شيئا يسيرا للغاية حتى ان سائر مدن ايتاليا وأوروبا لايعثر لها عندهم مع عدتها وشهرتها في ذلك الزمان على شيء من الذكر . وما ذكره الخوارزمى من ذلك انما هو مأخوذ من كتاب بطليموس ولا يدل على معرفة الخوارزمى بها ويجب أن نستثنى من ذلك مدينة واحدة وهي مدينة رومية فقد وصفها جماعة من الائمة كابن خرداذبه وابن الفقيه الهمذانى وعلى بن الحسين المسعودى وذكروا عنها أحاديث عجيبة وأطال ياقوت الحموى الكلام عليها وسيأتى ذكر ماقاله عنها في محاضرة آتية . وهذا غريب بالنسبة الى قلة معرفة العرب لسائر المدن والامم وسنعلل ذلك فى محله فى بسط كلامنا على رومية .

***

وان سأل سائل بجهل حكماء العرب أكثر أمم الغرب ومدنهم على حين أن جزيرة الاندلس في الغرب دار الاسلام وان المسلمين كانوا يختلفون اليها من المشرق والي

المشرق منها . أجبناه أن ابن واضح اليعقوبى أخبرنا عن الطريق التي كان يسلكها من قصد جزيرة الاندلس فقال : من أراد جزيرة الاندلس يسلك من مصر الى برقه ثم الى طرابلس ثم الى قيروان وتونس :وذلك بعيد من اوروبا ثم يقول : و يسير مسيرة عشرة أيام مسحلا غير موغل حتى يحاذى الجزيرة :

واذ كان المسلك وعرا فلا فرصة لاختلاف السفار والتجار الى البلدان الغربية غير الاسلامية ومعرفة أخبارها وأحوالها وصفاتها ومميزات شعوبها وأحوال مدنها وبحارها وأنهارها ونباتها وحيوانها

* * *

وقد تقدم ذكر المتقدمين من أئمة الجغرافيا في القرنين الثانى والثالث والآن نتبعهم بذكر بعض من اشتهر في هذا العلم كذلك من القرن الرابع الى العاشر .

فمن أعيانهم وفحولهم أبو الريحان البيرونى المتوفي سنة ٤٤٠ هـ ألف كتابا جايلا سماه (الآثار الباقية من الامم الخالية) وكتاب (تاريخ الهند) وألف غير هذين الكتابين كتبا عديدة في علم الفلك ولا نطيل الكلام في ذكر موضوع كتبه مع فائدتها وفضلها وكمالها لانها بعيدة مما نحن في صدده .

ومنهم أبو عبيد البكرى المتوفي سنة ٤٨٧ هـ وهو مؤلف كتاب(المسالك والممالك) وهو لم يطبع للآن ولا ندرى هل سلك فيه مسلك ابن خرداذبه والاصطخرى وابن حوقل أم لا . وهو مؤلف كذلك كتاب (معجم ما استعجم) ذكر في هذا الكتاب أسماء الامكنة الواردة فى أشعار العرب ومنازل البداوة وهو مرتب على أحرف المعجم وهو كتاب مفيد جدا في معرفة ماجاء فى أشعار العرب في الجاهلية وفي صدر الاسلام وأشعار الفحول في أيام بني أمية كالفرزدق وجرير والاخطل وغيرهم ومعين على فهمها

وقد سبقه الى ذلك جماعة منهم أبو سعيد الاصمعى وأبو عبيد والسيرافى صاحب كتاب (جزيرة العرب) وتابعه الزمخشرى في كتابه المسمى (الامكنة والجبال والمياه) وكذلك محمد بن أحمد الهمدانى المتوفي محبوسا في صنعاء سنة ٣٣٤ هـ فانه ألف كتاب (جزيرة العرب)

* * *

فهذه الكتب جميعها مفيدة ولولاها لخبط القارئ خبط عشواء وليس استيفاء ذكرها مما نحن بصدده فانها لا تومئ أقل ايماء الى بلاد المغرب ونحن لانذكر من كتب حكماء العرب فى الجغرافيا ونستوفى الكلام عليه الا ماتعرض منها لذكر بلاد أوروبا كما أسلفنا ذلك غير مرة

٩

جزئيات المحاضرة

بعض علماء الجغرافيا و بعض كتبهم . فائدة هذه الكتب بالنسبة الى معرفةايتاليا وأوروبا ذكر أصحاب الرحل من العلماء

∴

في أوائل القرن السادس اشتهر محمد بن أبي بكر الزهرى وكان مسقط رأسه غرناطة في جزيرة الاندلس ألف كتاب الجغرافيا صنفه فى أوائل القرن السادس ونقله من كتاب القمارى وقيل الفزارى وهذا الاسم غير أكيد يختلف في كتابته ومرجع كلا الكتابين الى الصورة المأمونية التى تقدم ذكرها .

ومن الأئمة أبو عبد الله محمد بن ادريس المعروف بالشريف الادريسى وهو كريم المحتد كان ينتمي الى على بن أبي طالب وهو من سلالة ادريس بن عبدالله والادريسيون هم أصحاب المغرب الاقصى أى مراكش من سنة ١٧٢ ه الى سنة ٣٧٥ وللشريف الادريسى من التآليف كتاب (نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق) ويقال له كذلك كتاب رجار وذلك لانه صنفه برسم الملك رجار الثاني ملك صقلية وجنوب ايتاليا فسمى باسمه أنجز تصنيفه في سنة ٥٤٨ ه قال شهاب الدين العمري : ان هذا الكتاب أصح كتاب في هذا الباب ثم ألف الشريف الادريسى كذلك كتاب (أنس المهج وروض الفرج) وسلك فى مؤلفاته مسلكا جديدا لم يسبق اليه ووصف بلاد أوروبا وايتاليا وجبالها وأنهارها مفصلة ومتنوعة وهذا الكتاب مدار علم العرب بمعرفة الغرب وهو المعول عليه فى هذا . فكل من كتب على الغرب من علماء العرب أخذ عن الادريسى .

ومنهم محمد بن عبد الرحيم أو عبد الرحمن المازني المتوفي سنة ٥٦٥ ه ألف كتابا

سماه (تحفة الالباب ونخبة الاعجاب) وكتاب (نخبة الاذهان فى عجائب البلدان) ثم كتاب (عجائب المخلوقات) وهذه الكتب موجودة كلها مخطوطة ولم يطبع منها شئ الى الآن .

∴

ثم ان جماعة من العلماء اقتصروا على وصف أسفارهم ورحلهم وذكروا أخبارا تتعلق بالجغرافيا ولم يتصدروا لاستيفاء مسائلها .

فمنهم محمد بن على الموصلى صنف كتابا سماه (عيون الاخبار) وذلك فى أواخر القرن السادس يصف فيه رحلته الى الشام والى مصر ولا علاقة له بأراضى المغرب خلافا لمحمد بن جبير الكنانى صاحب الرحلة المشهورة المطبوعة يذكر فيها جزيرة سردينيا فى بلاد ايتاليا وصقليا وتوفى فى الاسكندرية سنة ٦١٤ هـ .

ومنهم أى ممن وصف مارآه وشاهده في أسفاره أبو عبد الله بن شداد المتوفى سنة ٦٨٤ هـ وهو صاحب كتاب (الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة)

ومنهم أبو محمد العبدرى الذى ألف رسالة (رحلة) بين فيها سفره الى بلاد افريقيا وما رآه فيها : فليس المغرب وأوروبا موضوع الكتابين .

ومن مشهوريهم وأعيانهم أبو عبد الله ياقوت الحموى الرومى المعترف له بالفضل والاسبقية المتوفي سنة ٦٢٦ هـ أسر صغيرا ثم أعتقه مولاه وقرأ على العكبرى صاحب تفسير المتنبي وكان رحالة قال عن نفسه أنه انتقل من بلاد الى بلاد حتى بلغ السد أو كاد . وكان بمرو الشاهجان فى خوارزم وتصفح الكتب الموجودة في تلك المدينة واذ ذاك خزائن الكتب في مرو كثيرة . يقول ياقوت . انه انهزم في أيام خروج التترأى المغول أبادهم الله (هكذا يقول) وهرب في ذلك الوقت كبعثه يوم الحشر من رمسه لشدة الهول فترك كل متاعه وما يمتلكه وكان صنف كتبا وجمع أخبارا وأشياء كثيرة فترك ذلك كله فيما تركه عند فراره ثم ألف كتاب (معجم البلدان) ليس في تآليف العرب في الجغرافيا كتاب أنفع منه فان ياقوت لم يأل جهدا في جمع أخبار البلاد الاسلامية وغيرها ثم رتبها على حروف الهجاء وطبع هذا الكتاب عديم الشبيه بادئ الامر في ألمانيا ثم طبع ثانية هنا في مصر واختصر هذا الكتاب أبو الفضائل صفي الدين عبد

المؤمن بن عبد الحق المتوفي سنة ٧٣٩ وسماه (مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع) وألف ياقوت كذلك كتابا سماه (المشترك وضعا والمختلف صقعا) ذكر فيه الأمكنة المتفقة في الكتابة المختلفة فى الدلالة وذلك مثل طرابلس الشام وطرابلس الغرب

ومنهم زكريا بن محمد القزويني المتوفي سنة ٦٨٦ ﻫ ألف كتابا مشهورا وهو كتاب (عجائب المخلوقات وآثار البلاد) وهو مطبوع في المانيا على هامش كتاب الدميرى أبرزه أولا سنة ٦٦١ ﻫ ثم زاده ونقحه وأصلحه وأبرزه ابرازا ثانيا وتلك النسخة المنقحة هي المطبوعة وفي هذا الكتاب أخبار عديدة عن بلدان أوروبا

— ١٠ —

جزئيات المحاضرة

تتمة علماء الجغرافيا الى القرن العاشر . مؤلفات المتأخرين ومؤلفات المتقدمين

∴

ذكرنا قبلا علماء العرب في الجغرافيا من لدن القرن الثاني ولكننا لم نذكر سائرهم الى القرن العاشر واذ كنا قد وعدنا أن نذكر هؤلاء العلماء من لدن القرن الثاني الى القرن العاشر نتصدر الآن لاستيفاء الكلام على الباقي منهم

فمنهم على بن موسى بن سعيد المغربي ولد في المغرب ثم جال فى الديار المصرية والعراق والشام وتوفى سنة ٦٨٥ ﻫ وقيل سنة ٦٧٣ ﻫ ألف كتابا سماه (بسط الارض في طولها والعرض) ويقال لذلك الكتاب أيضاً كتاب (جغرافيا) مطلقا ولقد نحا فيه المؤلف نحو بطليموس وهو غير مطبوع وهو مخطوط موجود الآن في باريس

وممن برع من علماء الجغرافيا في القرن الثامن أبو عبد الله شمس الدين الانصارى الدمشقي وهو صاحب كتاب (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر). توفى سنة ٧٢٧ ﻫ وكتابه هذا مطبوع في النمسا

ومنهم الملك أبو الفداء اسماعيل عماد الدين ملك حماة المتوفي سنة ٧٣٢ ﻫ وهو صاحب كتاب التاريخ الجليل الذى سارت بذكره الركبان المسمى (المختصر في أخبار البشر) وهو أول كتاب اسلامي في أخبار العرب وخلفائهم وسلاطينهم تنقل بين أيدي

حكماء أوروبا وطبع هذا الكتاب في أوروبا منذ زمان طويل وطبع حديثا في القسطنطينية ومصر وألف أبو الفداء المذكور كتابا فى علم الجغرافيا سماه (تقويم البلدان) اقتبس فيه كتاب الجغرافيا لابن سعيد المغربي الذى تقدم ذكره ثم ألف كتابا آخر سماه (اوضح المسالك الى معرفة البلدان والممالك) أوجز فيه ماجاء فى تصانيف المتقدمين ورتبه على حروف الهجاء لتسهيل المأخذ ولتعميم الفائدة .

ومنهم شهاب الدين العمرى صاحب كتاب (مسالك الابصار فى ممالك الامصار) وكان شهاب الدين هذا معاصرا لابي الفداء وخدم الملك الناصر ابن قلاوون وأخذ من كتاب الشريف الادريسى أخبارا عديدة تتعلق بايتاليا أكثر مما ذكره المتأخرون ومنهم نجم الدين الحراني الذي اشتهر فى ذاك العصر كذلك وتوفى سنة ٧٣٢ ألف كتابا سماه (جامع الفنون وسلوة المحزون)

ومنهم محمد بن عبد الله الطنجى المعروف بابن بطوطه المتوفي سنة ٧٧٩ وهو صاحب الرحلة المشهورة ولم يتعرض فيها لذكر بلاد أوروبا

ومنهم العلامة ابن خلدون فانه ذكر في مقدمته المشهورة الاقاليم السبعة وبعض أخبار مدنها

ومنهم عمر سراج الدين بن الوردى المتوفي سنة ٨٥٠ هـ تقريبا ألف كتابا سماه (خريدة العجائب وفريدة الغرائب) حذا فيه حذو كتاب نجم الدين الحراني الذى تقدم ذكره بل سرق قوله فانه أخذ كل كلامه منه حتي كانه هو .

ومن علماء الجغرافيا في القرن العاشر محمد ابن اياس المتوفي سنة ٩٣٠هـ تلميذ السيوطي المشهور ألف كتابا سماه (نشر الازهار في عجائب الاقطار)

الى هنا تم ذكر أسماء الجغرافيين وكتبهم فرأينا من ذكر كتبهم أن أكثر كتب المتأخرين مختصرة من كتب المتقدمين والاختصار لايغني عن الاصل وربما كانت مخلة قال ابن خلدون أن الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم وقال ياقوت الحموى المشهور المختصر لكتاب كمن أقدم على خلق سوى فقطع أطرافه فتركه أشل اليدين أبتر الرجلين أعمي العينين أصلم الاذنين

— ١١ —

جزئيات المحاضرات

تقسيم علماء العرب في الجغرافيا بالنسبة لعلمهم بأوروبا وايطاليا الى طبقتين . الادريسى من علماء الطبقة الثانية والملك رجار الثانى ملك صقليا وجنوب ايتاليا . سائر المتأخرين من الجغرافيين

مصنفوالكتب التى ذكرناها كلها هم بالنسبة الى معرفتهم باوروبا وايتاليا ينقسمون الى طبقتين تقريبا الطبقة الاولى من الاقدمين الى الشريف الادريسى ومنهم ياقوت ابن حجة الحموى والطبقة الثانية من الشريف الادريسى فمن بعده

وقد أبنا أن مؤلفى الطبقة الاولي لم يحصلوا من العلم بأوروبا وايتاليا الا القليل ولم يذكروا الا أسماء بعض المدن أو بعض الامم دون تفصيل أخبارها وشرح أحوالها ماعدا أخبار مدينة رومية .

أما كتاب الادريسى الذى هو أول الطبقة الثانية فانه على خلاف ذلك والسبب الذى من أجله ألف كتابه على ماحكاه هو نفسه : ان الملك رجار الثاني ملك صقلية وجنوب ايتاليا بعد ان استقرت له السلطة وأطاعه الشعب أراد أن يحقق تخوم مملكته وجبالها وبحارها ومسالكها ثم زيادة على ذلك أراد أن يعرف احوال سائر البلاد فجمع كتب علماء اليونان واللاتين وسأل الادباء والالباء ولم يأل جهدا في تحصيل هذه الاخبار مدة خمس عشرة سنة و بعد ان رسم على صفحة مسافة البلاد أمر أن تفرغ من الفضة الخالصة دائرة عظيمة الجرم ثم امر الفعلة ان ينقشوا فيها صور الاقاليم السبعة ببلادها وخلجانها وأنهارها وما بين كل بلد من الطرق المسلوكة والمسافات المحدودة ثم امر الشريف الادريسى أن يؤلف كتابا في شرح صور هذه الدائرة ويصف فيه اخبار البلاد كلها وأحوال سكانها فامتثل الادريسى امره وصنف كتاب (نزهة المشتاق) ضمنه رسوما كثيرة وأودعه من جغرافية المغرب ومن أسماء المدن المحققة وأخبارها الصحيحة مالا يحصى عدده على حين ان ماذكره آل الطبقة الاولى من ذلك يسير لايخلو من الغلطات . ومن المدن التى ذكرها الادريسي مدينة مسينا قال انها من أجل البلاد وأكثرها عمارة . ولم تزل مسينا كما ذكرها الادريسى الى هذه الايام الاخيرة

حين زلزلت الارض فخربت المدينة خرابا هائلا مفزعا . ثم ابرز الادريسى كتابه ثانية ولا نعرف كيفية هذا الابراز . أما كتاب (أنس المهج وروض الفرج) فقد لخص فيه ماأورده في كتابه نزهة المشتاق من وصف صقلية وزاد عليه مايختص بسائر بقاع ايتاليا ولا يوجد من هذا الكتاب فيما اعلم الا نسخة واحدة في القسطنطينية وهى تحتوى على ٧٥ رسما وأما النزهة فموجود منها نسخ محفوظة في باريس وفي بلاد الانجليز ولم يطبع من النزهة الا جزآن طويلان وهما وصف جزيرة الاندلس وافريقا ووصف ايتاليا وأما اختصاره المسمى (نزهة الامصار) فقد طبع من زمان في ايتاليا وهو بالنسبة للاصل كالاختصارات التى ذمها ياقوت الحموي كما تقدم .

هذا شأن الادريسى الذى هو مبدأ الطبقة الثانية أما سائرهم فلم يطيلوا الكلام على بلاد أوروبا واكتفوا بالقليل الذى نقلوه عن الادريسى حرفا بحرف في الاغلب كابن سعيد المغربى وأبى الفداء وشهاب الدين العمري وابن الوردى وآخرين وما لم ينقل عن الادريسى فهو من الخرافات كقول القزويني : ان الافرنج لايغتسلون في العام الا مرة أو مرتين بالماء البارد : وما يشبه ذلك .

فخلاصة مابيناه أن من حكماء العرب من اقتصر على وصف جزيرة العرب أو على وصف رحلهم في بلاد الشرق ولا محل فيها لاخبار اوروبا ومنهم من جمع أخبار الارض بأسرها وذكر الجبال والانهار والبحار والمدن والاقطار وما اشبه ذلك . فهم طبقتان . فأخبار اوروبا كثيرة عند علماء الطبقة الثانية وأخص منهم الادريسى وهى يسيرة الى الغاية عند حكماء الطبقة الاولى ماعدا اخبار مدينة رومية . وسنقدم الآن على شرح اخبار رومية في المحاضرة الآتية وسنورد كلام ياقوت الحموى على رومية في كتابه معجم البلدان

أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب

١٢ و١٣

جزئيات المحاضرتين

كلام ياقوت الحموى في كتابه معجم البلدان على مدينة رومية وهو من الخرافات الا النزر اليسير . شرح بعض تلك الخرافات .

***

وعدنا في آخر المحاضرة الفائتة أن نورد كلام ياقوت الحموى على مدينة رومية وها نحن نذكر كلامه الذى أورده في باب الراء من كتابه معجم البلدان الذى تقدم ذكره فى محاضرة فائتة ويقع ذلك في الصفحة ٣٣١ من الجزء الرابع من النسخة المطبوعة في القاهرة سنة ١٣٢٤ ه وسنة ١٩٠٦ م قال ياقوت

(رومية) بتخفيف الياء من تحتها نقطتان كذا قيده الثقات . . قال الاصمعى وهو مثل انطاكية . وأفامية . ونيقية . وسلوقية . وملطية . وهو كثير في كلام الروم وبلادهم . . وهما روميتان احداهما بالروم والاخرى بالمدائن بنيت وسميت باسم ملك فأما التى في بلاد الروم فهي مدينة رياسة الروم وعلمهم . . قال بعضهم هي مسماة باسم رومى ابن لنطي بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام . . وذكر بعضهم انما سمى الروم روما لاضافتهم الى مدينة رومية واسمها رومانس بالرومية فعرّب هذا الاسم فسمي من كان بها رومي وهى شمالى وغربى القسطنطينية بينهما مسيرة خمسين يوما أو أكثر وهي اليوم بيد الافرنج وملكها يقال له ملك ألمان

ونقول . ان ملك ألمانيا كان وقتئذ مسلطا على ايتاليا

قال ياقوت وبها يسكن البابا الذى تطيعه الفرنجة وهو لهم بمنزلة الامام متى خالفه أحد منهم كان عندهم عاصياً مخطئاً يستحق النفي والطرد والقتل يحرّم عليهم نساءهم وغسلهم وأكلهم وشربهم فلا يمكن أحدا منهم مخالفته . . وذكر بطليموس

(١) فى كتاب الملحمة قال «مدينة رومية طولها خمس وثلاثون درجة وعشرون دقيقة وعرضها احدى وأربعون درجة وخمسون دقيقة في الاقليم الخامس طالعها عشرون درجة من برج العقرب تحت سبع عشرة درجة من برج السرطان يقابلها مثلها من برج الجدى بيت ملكها مثلها من الحمل بيت عاقبتها مثلها من الميزان لها شركة في كف الجذماء حولها كل نحو عام وفيه جاءت الرواية من كل فيلسوف وحكيم وفيها قامت الاعلام والنجوم . . وقد روى عن جبير بن مطعم انه قال لولا أصوات أهل رومية وضجهم لسمع الناس صليل الشمس حيث تطلع وحيث تغرب . . ورومية من عجائب الدنيا بناء وعظماً وكثرة خلق وأنا من قبل ان آخذ في ذكرها أبرأ الى الناظر في كتابى هذا مما أحكيه من أمرها فانها عظيمة جدا خارجة عن العادة مستحيل وقوع مثلها ولكني رأيت جماعة ممن اشتهروا برواية العلم قد ذكروا مانحن حاكوه فاتبعناهم في الرواية والله أعلم . . روى عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال حلية في بيت المقدس أهبطت من الجنة فأصابتها الروم فانطلقت بها الى مدينة لهم يقال لها رومية قال وكان الراكب يسير بضوء ذلك الحلي مسيرة خمس ليال

ونقول . أصل هذا الخبر من اليهود ومرجعه الى أسفارهم الموجودة في يومنا هذا حكي فيها ان تابوت بنى اسرائيل ومائدتهم ومنارتهم (أى شمعدانهم) عملها موسى على مثال مانزل منها من السماء . وأما اضاءتها فمماثل ماحكي القزوينى من ياقوتة حمراء على قبة الصخرة كان في ضوئها تغزل نساء أهل بلقاء (من أعمال دمشق) وكل هذا من الاساطير . وأما انطلاق الرومانيين بحلى بيت المقدس الى رومية فهو صحيح محقق

قال ياقوت . . وقال رجل من آل أبى موسى أخبرنى رجل يهودى قال دخلت رومية وان سوق الطير فيها فرسخ

ونقول خبر سوق الطيور من أسفار اليهود كذلك

قال ياقوت . . وقال مجاهد في بلد الروم مدينة يقال لها رومية فيها ستمائة ألف حمام

---

(١) قال الاستاذ . ومنهم من يضبطه بطليموس وهذا الكثير في الكتب القديمة وزعم القزويني أن بطليموس و بلميوس شخصان لاشخص واحد نسب الى الاول كتاب المجسطي والى الثاني كتاب الاحكام النجومية وهذا وهم منه

ونقول . عدد الحمامات ظاهر الغلو ويحق على هذا وعلي ما يليه قول ابن خلدون : انهم تاهوا في بيداء الوهم والغلط سيما في احصاء الاعداد : وكانت سقوف الهيا كل مرصصة (أى مصنوعة بالرصاص) لاسقوف البيوت كلها

قال ياقوت . . وقال الوليد بن مسلم الدمشقى أخبرنى رجل من التجار قال ركبنا البحر وألقتنا السفينة الى ساحل رومية فأرسلنا اليهم انا اياكم أردنا فأرسلوا الينا رسولا فخرجنا معه نريدها فعلونا جبلا فى الطريق فاذا بشيء أخضر كهيئة اللج فكبرنا فقال لنا الرسول لم كبرتم قلنا هذا البحر ومن سبيلنا ان نكبر اذا رأيناه فضحك وقال هـذه سقوف رومية وهى كلها مرصصة قال فلما انتهينا الى المدينة اذا استدارتها أربعون ميلا في كل ميل منها باب مفتوح قال فانتهينا الى أول باب واذا سوق البياطرة وما أشبهه ثم صعدنا درجا فاذا سوق الصيارفة والبزازين ثم دخلنا المدينة فاذا فى وسطها برج عظيم واسع في أحد جانبيه كنيسة قد استقبل بمحرابها المغرب وبابها المشرق وفى وسط البرج بركة مبلطة بالنحاس يخرج منها ماء المدينة كله وفي وسطها عمود من حجارة عليه صورة رجل من حجارة قال فسألت بعض أهلها فقلت ماهذا فقال ان الذى بنى هذه المدينة قال لاهلها لاتخافوا على مدينتكم حتى يأتيكم قوم على هذه الصفة فهم الذين يفتحونها

ونقول . حكاية العمود والصورة جاءت فى كتب اللطين والروم وأصل ذلك انهم كلما رأوا تمثال راكب رافع يده وهو كثير في أوروبا خيل اليهم أن الراكب ينذر أهل المدينة وينبئهم بما سيحدث . ومن هذا القبيل ماحكى ابن خرداذبه وغيره من فرس من نحاس بارض الاندلس وهو باسط يده كأنه يقول ليس خلفي مسلك . وحكى ان في مدينة طليطلة تصاوير أفراس مكتوب عليها لاتفتح هذه الارض حتي يأتيها قوم يشبهون هذه التصاوير أو نحو ذلك والتصاوير هى العرب على خيولهم بعمائمهم وقسيهم

قال ياقوت . . وذكر بعض الرهبان ممن دخلها وأقام بها أن طولها ثمانية وعشرون ميلا في ثلاثة وعشرين ميلا ولها ثلاثة أبواب من ذهب فمن باب الذهب الذى فى شرقيها الى البابين الآخرين ثلاثة وعشرون ميلا ولها ثلاثة جوانب في البحر والرابع فى البر والباب الاول الشرقى والآخر الغربى والآخر اليمنى ولهـا سبعة أبواب أخر سوى هـذه الثلاثة الأبواب من نحاس مذهب ولها حائطان من حجارة رخام وفضاء

طوله مائتا ذراع بين الحائطين

ونقول . اختلط هنا وصف رومية مع وصف القسطنطينية فنسب الى الاولى مايخص الثانية فان باب الذهب والحائطين في القسطنطينية لافي رومية وثلاثة الجوانب على البحر لاتصح على رومية فانها بعيدة عن البحر . وسبب الاختلاط أن القسطنطينية كانت تسمى كذلك رومية الثانيـة . وكذلك باب الملك المذكور بعيد هـذا هو في القسطنطينية لافي رومية

قال ياقوت وعرض السور الخارج ثمانية عشر ذراعا وارتفاعه اثنان وستون ذراعا وبين السورين نهر ماؤه عذب يدور في جميع المدينة ويدخـل دورهم مطبق بدفوف النحاس كل دفة منها ستة وأربعون ذراعا وعدد الدفوف مائتان وأربعون ألف دفة وهذا كله من نحاس وعمود النهر ثلاثة وتسعون ذراعا فى عرض ثلاثة وأربعين ذراعا فكلما هم بهم عدو وأتاهم رفعت تلك الدفوف فيصير بين السورين بحر لايرام وفيمابين أبواب الذهب الى باب الملك اثنا عشر ميلا وسوق ماد من شرقيها الى غربيها بأساطين النحاس مسقف بالنحاس وفوقـه سوق آخر وفي الجميع التجار وبين يدى هـذا السور سوق آخر على أعمدة نحاس كل عمود منها ثلاثون ذراعا وبين هذه الأعمدة نقيرة من نحاس في طول السوق من أوله الى آخره فيه لسان تجرى من البحر فتجيء السفينة في هـذا النقير وفيها الأمتعـة حتى تجتاز في السوق بين يدى التجار فتقف على تاجر تاجر فيبتاع منها مايريد ثم ترجع الى البحر . . وفي داخل المدينـة كنيسة مبنيـة على اسم مار فطرس ومار فواس الحواريين وهما مدفونان فيها وطول هذه الكنيسة ألف ذراع في خمسمائة ذراع في سمك مائتى ذراع وفيها ثلاث باسليقات بقناطر نحاس وفيها أيضاً كنيسة بنيت باسم اصطفانوس رأس الشهداء طولها ستمائة ذراع فى عرض ثلاثمائة ذراع في سمك مائة وخمسين ذراعا وثلاث باسليقات بقناطرها وأركانها وسقوف هذه الكنيسة وحيطانها وأرضها وأبوابها وكواها كلها وجميع مافيها كأنه حجر واحد . . وفي المدينة كنائس كثيرة منها أربع وعشرون كنيسة للخاصة وفيها كنائس لاتحصى للعامة وفي المدينة عشرة آلاف دير للرجال والنساء وحول سورها ثلاثون ألف عمود للرهبان وفيها اثنا عشر ألف زقاق يجرى في كل زقاق منها نهران واحـد للشرب والآخر للحشوش

وفيها اثنا عشر ألف سوق في كل سوق قناة ماء عذب وأسواقها كلها مفروشة بالرخام الابيض منصوبة على أعمدة النحاس مطبقة بدفوف النحاس وفيها عشرون ألف سوق بعد هذه الاسواق صغار وفيها ستمائة ألف وستون ألف حمام وليس يباع في هذه المدينة ولا يشترى من ست ساعات من يوم السبت حتى تغرب الشمس من يوم الاحد . .
وفيها مجامع لمن يلتمس صنوف العلم من الطب والنجوم وغير ذلك يقال انها مائة وعشرون موضعاً وفيها كنيسة تسمى كنيسة الأم الى جانبها قصر الملك وتسمى هذه الكنيسة صهيون بصهيون بيت المقدس طولها فرسخ في فرسخ في سمك مائتي ذراع ومساحة هيكلها ستة أجربة والمذبح الذى يقدس عليه القربان من زبرجد أخضر طوله عشرون ذراعا في عرض عشرة أذرع يحمله عشرون تمثالا من ذهب طول كل تمثال ثلاثة أذرع أعينها يواقيت حمر واذا قرب على هذا المذبح قربان في الاعياد لايطفو الا أن يصاب

ونقول . الكنائس القديمة التي ذكرها ياقوت هي موجودة الى الآن وأما طولها وعرضها فلا يعول فيهما على قوله . ويشبهه مايليه وهو قوله ٣٠٠٠٠ عمود للرهبان يريد الرهبان الذين كانوا يعيشون طول حياتهم فوق عمود وهم كثيرون في المشرق لافي المغرب

قال ياقوت . . وفي رومية من الثياب الفاخرة مايليق به وفى الكنيسة ألف ومائتا اسطوانة من المرمر الملمع ومثلها من النحاس المذهب طول كل اسطوانة خمسون ذراعا وفي الهيكل ألف وأربعمائة وأربعون اسطوانة طول كل اسطوانة ستون ذراعا لكل اسطوانة رجل معروف من الاساقفة وفى الكنيسة ألف ومائتا باب كبار من النحاس الاصفر المفرغ وأربعون بابا كبارا من ذهب سوى أبواب الآبنوس والعاج وغير ذلك وفيها ألف باسليق طول كل باسليق أربعمائة وثمانية وعشرون ذراعاً في عرض أربعين ذراعا لكل باسليق أربعمائة وأربعون عمودا من رخام مختلف ألوانه طول كل واحد ستة وثلاثون ذراعا وفيها أربعمائة قنطرة يحمل كل قنطرة عشرون عمودا من رخام وفيها مائة ألف وثلاثون ألف سلسلة ذهب معلق في السقف بكر ذهب تعلق فيها القناديل سوى القناديل التي تسرج يوم الاحد وهذه القناديل تسرج يوم أعيادهم وبعض مواسمهم وفيها الاساقفة ستمائة وثمانية عشر أسقفا ومن الكهنة والشمامسة ممن يجرى عليه الرزق من الكنيسة دون غيرهم خمسون ألفا كلما مات واحد أقاموا مكانه آخر ..

وفي المدينة كنيسة الملك

ونقول . هذه كنيسة ماريوحنا الموجودة الآن وأما قوله لايطفأ أى نور القربان ألا يصاب فلعل فيه اشارة الى حكاية نور كان في بعض كنائس رومية لا يطفأ حتى أصابه رام بسهم

قال ياقوت وفيها خزائنه التى فيها أواني الذهب والفضة مما قد جعل للمذبح وفيها عشرة آلاف جرة ذهب يقال لها الميزان وعشرة آلاف خوان ذهب وعشرة آلاف كأس وعشرة آلاف مروحة ذهب ومن المناور التى تدار حول المذبح سبعمائة منارة كلها ذهب وفيها من الصلبان التى تخرج يوم الشعانين ثلاثون ألف صليب ذهب ومن صلبان الحديد والنحاس المنقوشة المموهة بالذهب مالا يحصى ومن المقطوريات عشرون ألف مقطورية وفيها ألف مقطرة من ذهب يمشون بها أمام القرابين ومن المصاحف الذهب والفضة عشرة آلاف مصحف وللبيعة وحدها سبعة آلاف حمام سوى غير ذلك من المستغلات . . ومجلس الملك المعروف بالبلاط تكون مساحته مائة جريب وخمسين جريباً والايوان الذي فيه مائة ذراع في خمسين ذراعا ملبس كله ذهبا وقد مثل في هذه الكنيسة مثال كل نبى منذ آدم عليه السلام الى عيسى بن مريم عليه السلام لايشك الناظر اليهم أنهم أحياء وفيها ثلاثة آلاف باب نحاس مموه بالذهب وحول مجلس الملك مائة عمود مموه بالذهب على كل واحد منها صنم من نحاس مفرغ في يد كل صنم جرس مكتوب عليه ذكر أمة من الامم وجميعها طلسمات فاذا هم بغزوها ملك من الملوك تحرك ذلك الصنم وحرك الجرس الذي في يده فيعلمون أن ملك تلك الامة يريدهم فيأخذون حذرهم

ونقول . هذه الحكاية الغريبة موجودة في كتب الروم واللطين أيضاً

قال ياقوت . وحول الكنيسة حائطان من حجارة طولهما فرسخ وارتفاع كل واحد منهما مائة ذراع وعشرون ذراعا لهما أربعة أبواب وبين يدى الكنيسة صحن يكون خمسة أميال فى مثلها في وسطه عمود من نحاس ارتفاعه خمسون ذراعا وهذا كله قطعة واحدة مفرغة وفوقه تمثال طائر يقال له السودانى من ذهب على صدره نقش طلسم وفي منقاره مثال زيتونة وفى كل واحدة من رجليه مثال ذلك فاذا كان أوان الزيتون لم يبق

طائر فى الارض الا وأتي وفي منقاره زيتونة وفي كل واحـدة من رجليـه زيتونة حتى يطرح ذلك على رأس الطلسم فزيت أهل رومية وزيتونهم من ذلك وهذا الطلسم عمله لهم بليناس صاحب الطلسمات وهذا الصحن عليـه أمناء وحفظة من قبل الملك وأبوابه مختومة فاذا امتلا وذهب أوان الزيتون اجتمع الامناء فعصروه فيعطي الملك والبطارقـة ومن يجري مجراهم قسطهم من الزيت ويجعل الباقي للقناديل التي للبيع وهذه القصة أعنى قصة السوداني مشهورة قلما رأيت كتابا تذكر فيه عجائب البلاد الا وقد ذكرت فيه ..
وقد روى عن عبدالله بن عمرو بن العاص انه قال من عجائب الدنيا شجرة برومية من نحاس عليها صورة سودانية في منقارها زيتونة فاذا كان أوان الزيتون صفرت فوق الشجرة فيوافي كل طائر فى الارض من جنسها بثلاث زيتونات في منقاره ورجليه حتى يلقي ذلك على تلك الشجرة فيعصر أهل رومية ما يكفيهم لقناديل بيعتهم وأكلهم لجميع الحول

ونقول . هذا من عجائب الدنيا المأثورة عند العرب ذكرها جماعة من علمائهـم كابن خرداذبه والمسعودي والقزويني والدميري وغيرهم وأصلها عنـدى من معمودية النصارى وذلك انه كان قدام الـكنيسة التي ذكرها ياقوت جرن الغطاس أى حوض تعتمد فيه النصارى وعلى مثل هذه الاجران كانوا يصورون تمثال حمامة في فمها غصـن زيتون تبعاً لما قيل فى الانجيل من نزول روح القدس من السماء فى صورة حمامـة وقت اعتماد المسيح على يد يوحنا المعمداني وداخل هذه التماثيل كان الزيت المقدس على مقتضى دين النصارى فخيل الى من جهل ذلك ان هذا الزيت من الطيور

قال ياقوت .. وفي بعض كنائسهم نهر يدخل من خارج المدينة في هذا النهر من الضفادع والسـلاحف والسراطين أمر عظيم فعلى الموضع الذي تدخل منـه الـكنيسة صورة صنم من حجارة وفي يده حديدة معقفة كأنه يريد أن يتناول بها شيئاً من المـاء فاذا انتهت اليه هذه الدواب المؤذية رجعت مضاعفة ولم يدخل الـكنيسة منها شيء البتة

ونقول . لعل في هذا اختلاطا مع عجائب القسطنطينية كما سبق في ذكر الابواب والحائطين فان فيها كنيسة الحواريين فهدمت من زمان وبنيت عليها المحمـدية وهى من اكبر مساجد القسطنطينية وكان يجرى تحت هذه الـكنيسة نهر فيه السلاحف وعلى النهر تمثال رجل كما حكي ياقوت

قال ياقوت .. قال المؤلف جميع ماذكرته ههنا من صفة هذه المدينة فهو من كتاب احمد بن محمد الهمدانى المعروف بابن الفقيه وليس فى القصة شيء أصعب من كون مدينة تكون على هذه الصفة من العظم على أن ضياعها الى مسيرة أشهر لاتقوم مزدرعاتها بميرة أهلها وعلى ذلك فقد حكي جماعة عن بغداد أنها كانت من العظم والسعة وكثرة الخلق والحمامات مايقارب هذا وانما يشكل فيه أن القارىء لهذا لم ير مثله والله أعلم فأما أنا فهذا عذري على أنني لم أنقل جميع ماذكر وانما اختصرت البعض

***

هذا مايقوله ياقوت في وصف مدينة رومية واكثره من الخرافات والاساطير فان الناقلين لم يكونوا من أهل البلاد وانما هم غرباء لم يقيسوا الغائب بالشاهد والحاضر بالغائب كما قال ابن خلدون . وكل ما كتب عن مدينة أو بلد من عجائب مستحيلة خارقة للعادة فليس منشؤه قول سكانها وانما هو أوهام ناس لم يجوسوا خلال ديارها ويتفهموا نظامها ويرووا عن الثقات من أهلها

ومما يؤيد أن أصل تلك القصص والخرافات المشرق لا المغرب أن اسم المدينة عند اليونان رومي ومنه اشتق الاسم العربي رومية . أما الرومانيون فاسم المدينة عندهم روما لارومي وهى التسمية اليونانية التي اشتقت منها التسمية العربية . وابن خلدون والشريف الادريسى يقولان روما لارومي

ويؤيد ذلك كذلك أن الكتب التي تذكر هذه القصص أول ماألف منها في أنطاكية او في ولاياتها . والرومانيون كانوا يرسلون تجارتهم وروادهم وجيوشهم الي الشرق فتمر ذاهبة وآئبة بانطاكية لانها كانت اذ ذاك ثغرا جليلا ومحطا للسفار ومستقرا لهم فكان الراوون من اهل تلك البلاد البعيدة عن رومية يذكرون حقائق للرومانيين ثم يغلون في وصفهم حتى يأتوا بالخرافات المدهشات مما يمليه عليهم خيالهم الكاذب

ومثال ذلك ماشاع في بلاد اوروبا من قصص المشرق الغريبة المدهشة في الاجيال الوسطى فقد حكي في المغرب أشياء كثيرة مستحيلة عن المشرق من مثل مكة والمدينة وغيرهما . ولا بد أن يكون مرجع هذه الخرافات الى بلاد بعيدة عن المشرق

١٤
جزئيات المحاضرة

آثار العرب في صقلية وفي سائر ايطاليا ، ذكر المساجد التي كانت في بلرم « Palerme » تأثير مباني العرب في هندسة المتأخرين ، السيوف والآلات العربية في خزائن ايطاليا ، أحجار القبور « الشواهد » والايات المسطورة عليها ، لمحة في اخبار اليونانيين ، أصل اليونانيين وتمدنهم الاول المسمى ميكاني أي منسوب الى مدينة ميكانه « Mycène »

***

آثار العرب في ايتاليا قليلة على حين ان مباني المسلمين في صقلية كانت جليلة عديدة . قال ابن حوقل وياقوت الحموي ان في بلرم (وهي قصبة جزيرة صقلية) ثلثمائة مسجد ونيفاً منها مسجد الجامع الاكبر وكان بيعة للروم فاتخذها المسلمون مسجدا . وان فيها كذلك قصورا كثيرة ولم يبق الآن من تلك الابنية الفاخرة التى شيدها العرب شيء غير ان في بلرم او في غيرها من مدن صقلية مباني وقصورا اقتفى مهندسوها مثال المباني الفاخرة التي شيدتها الامم المدنة المعاصرة للعرب . ومن تلك المباني قصران جليلان اسم أحدهما قبة واسم الآخر زيزا ولعل أصله في العربية عزيزه . فكانت مباني العرب هذه مثالا لمن خلفهم من سائر الامم فحذا الخلف فى أبنيتهم حذوها

***

السيوف وسائر الآلات المنقولة من الشرق الي ايتاليا ومصونة في خزائننا ومتاحفنا لاتحصى . ومن تلك الآلات النفيسة الاصطرلاب (وهو آلة فلكية لقياس ارتفاع الكواكب)

وأما أحجار القبور أي الشواهد فهى عديدة مكتوبة بالقلم الكوفى أو بالقلم النسخي والمسطور عليها هو المعتاد المعروف في الشواهد أي اسم الميت وتاريخ وفاته وآيات من آيات القرآن . فمن ذلك شاهد قبر رجل مات فى بلرم كتب عليه : أشهد أن الجنة حق والنار حق والصراط حق . وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور :

ثم يقول على ذلك حي وعليه توفى وعليه يبعث ان شاء الله . وعلى شواهد بعض القبور أبيات ظريفة لطيفة لم أقف عليها في كتب الأدب فمن ذلك أبيات كتبت على شاهد قبر رجل اسمه يسين بن علي وهي من الطويل محذوف الضرب وهي على لسان الشاهد يخاطب الميت فيقول

بعدت فما في العيش بعدك طيب * وغبت عن الدنيا فلست تؤوب
مقيم الي أن يبعث الله خلقه * لقاؤك لا يرجى وأنت قريب
ووجهك يبلى كل يوم وليلة * وودك لا ينسى وأنت حبيب
عليك سلام الله ماذر شارق * وما اهتزفى دوح الأراك قضيب

وأبيات أخرى على شاهد قبر آخر في بلرم لامرأة اسمها ميمون بنت حسان وهى من البسيط مقطوع الضرب

انظر بعينيك هل في الارض من باق * أو دافع الموت أو للموت من راق
الموت أخرجنى قسرا فياأسفي * لم ينجنى منه ابوابى وأغلاقي
وصرت رهنا بما قدمت من عمل * محصى عليّ وما خلفته باق
يامن رأى القبر اني قد بليت به * والترب غير أجفانى وآماقى
في مضجعى ومقامي فى البلى عبر * وفي النشور اذا ماجئت خلاقي

وبيتان على شاهد آخر لاأدرى ان كان صاحبهما معروفا أم لا وهما

ياموت ما اقساك من نازل * تنزل بالمرء على رغمه
تستخرج الحسناء من خدرها * وتأخذ الواحد من أمه

وبيتان على شاهد قبر في نابلى وهما

وكيف يلذ العيش من هو سائر * الي جدث يبلى الشتات منازله
ويذهب رسم الوجه من بعد ضوئه * سريعا ويبلى جسمه ومفاصله

هذه الابيات التى ذكرت موجودة في ايتاليا وخلت منها كتب الادب على ما أعلم .

***

والآن قد فرغنا من ذكر أدبيات علم الجغرافيا ومن ذكر آثار صقليه وسنشرع

فى ذكر أدبيات علم التاريخ ونبدؤه بما بلغ العرب من أخبار الرومانيين واليونانيين ونقدم القول فيما ذكروه من أخبار هاتين الامتين الصحيحة المحققة على الاجمال ليسهل علينا شرح ماذكر منها فى تصانيف العرب .

مساكن اليونان هى اغريقيه ثم الجزائر وسواحل آسيا الصغرى وهم من الشعوب التى تسمى هند جرمان . ان من أجل أمم الارض ووفرهم عقلا هذه الامم الهندجرمانية والامم السامية التي هي من نسل سام بن نوح وسيأتى الكلام عليهم مفصلا . أماسبب تلقيبهم بهذا اللقب الهند جرمن أن بعضهم استوطن بلادالهند في أقصى الجنوب و بعضا آخر سكن بلاد الجرمان أى الالمان وأخوتهم في أقصى الشمال والباقين سكنوا مابين الطرفين فمزج الهند بالجرمان وجعلا اسما واحدا هو الهند جرمان وهو يدل على هذين الطرفين وما بينهما من الامكنة المأهولة بهم .

وتتشعب الهندجرمن الى ثمانية شعوب كبار . الشعب الاول أمم الهند أى البراهمة وهم أهل العلم في الفلك والنجوم ولغتهم قديمة ومن كتبهم الخالدة الطائرة الصيت كتاب كليلة ودمنة أخرج من الهندية الى الفارسية ثم من الفارسية الى العربية أخرجه ذلك الاخراج الاخير عبد الله بن المقفع الذى قتل بأمر المنصور . والشعب الثاني الامم الايرانية وهم المجوس والفرس وآل ساسان والعجم كلهم وأقدم كتبهم كتاب زرداشت في الشريعة كان مفقودا ثم وجد في بلاد الهند وطبع ونقل الى لغات أوروبا . والشعب الثالث الارمانيون أى الارمن ومن يشبههم . والشعب الرابع الصقالبة وهو جمع صقلب وهى كلمة معربة والصقالبة هم الروس والبلغار والصرب ومن يشبههم

١٥

جزئيات المحاضرة

تتمة الكلام على الامم الهند جرمانية . الجرمان . الكلتى Celtes اليونان واللطين منشأ اليونان الاصلى وتمدنهم الاول الميكاني أى منسوب الى مدينة ميكانه في اغريقيه Grèce لمحة فى أخبار اليونان من أول امرهم الى محاربتهم الفرس . ليكرغوس واضع الشرائع لمدينة اسبارطه . وسولون واضع الشرائع لمدينة أثينا . انتصار اليونان على الفرس

والانقسامات التالية لهذا . ملك فيلبوس والاسكندر وذكر ما جاء من ذلك في كتب العرب

* * *

ذكرنا في المحاضرة الرابعة عشرة أربعة شعوب من أمم الهند جرمان الثمانية وسنذكر الآن أربعة الشعوب الباقية .

الشعب الخامس الجرمان أى سكان جرمانيا وهو يشمل أهل ألمانيا وانجلترا وهولانده وسويج وزرويج والدانمرك الى جزيرة اسلاند فى أقصى الشمال ومعنى اسلاند جزيرة الثلج . والشعب السادس السكلتيون ومنهم الغاليون تبوءوا بلاد فرنسا والقسم الشمالى من ايتاليا ثم دوخهم الرومان ودخلوا في جملتهم وانقطع ذكرهم . والشعب السابع وهم ثلاثة اقسام . يونية . أولية . دورية . وأكثر القول في نسب اليونان لغو باطل وما أحسن قول المسعودى ان اليونان اخوة الروم وغير ذلك من الاقاويل . والشعب الثامن أمم ايتاليا القديمة ومنهم الرومان كما سيأتي

وهذه الامم كلها التى احتل بعضها أقصى الجنوب وبعض آخر أقصى الشمال كانت قبل أن تتفرق أيدى سبا أمة واحدة واختلف في مسكنها الاصلى فقيل انه في شمال اوروبا وقيل في وسط آسيا . وأما اليونان فمأواهم الاول بعد فراقهم اخوتهم من سائر الامم هو شمال اغريقية على الاصح ثم انصرفوا من منشئهم هذا الاول وتوغلوا فى البلاد الجنوبية فاستوطنوا البلدان التى ذكرنا أى اغريقيه والجزائر وساحل آسيا الصغرى . وفي أول أمرهم تعاطوا الصنائع دون العلوم فشيدوا المبانى والهياكل وكان نجاحهم في مدنيتهم الاولى من القرن الخامس عشر قبل الميلاد الى الثانى عشر قبله ويقال لهذه المدنية الميكانيه نسبة الي مدينة ميكانه في اغريقية وذلك لان آثاره كثيرة فى هذه المدينة . ومن هذا الوقت انتشر اليونان في جميع الجزائر القريبة منهم بينهم وبين آسيا واحتلوا ساحل آسيا وقد ورد ذكرهم في بعض كتابات الفراعنة في الاقصر .

واليونان بأقسامهم الثلاثة . يونية . أوليه ادوريه كانوا يسكنون الشمال كما تقدم ثم قصدوا جهة الجنوب واستولوا على جزء من اغريقيه يسمى بلوبونسو وقصبتها مدينة اسبارطه وكان ذلك في القرن العاشر قبل الميلاد تقريبا . ثم نمت هذه الطوائف حتي نشأت منها دول مستقلة اجلها اثينا واسبارطه وغيرها

وفي القرن التاسع قبل الميلاد وضع على ماحكى ليكرغوس وهو من أعيان مدينة اسبارطه شرائعه لاهلها كما وضع سولون شرائعه لاهل اثينا في أوائل القرن السادس قبل الميلاد .

وكان اليونان الذين في سواحل آسيا الصغرى قد ألحقوا بمملكة الفرس يؤدون لهم الاتاوة ثم خلعوا طاعتهم فأخضعتهم الفرس وهموا بعد ذلك بتدويخ سائر اليونان وذلك في أوائل القرن الخامس قبل الميلاد وكانت مقاتلتهم اياهم بادىء الامر على عهد الملك داريوس الاول وهو عند العرب دارا الاكبر وبعدئذ على عهد ابنه واسمه اكسرسس فكانت الهزيمة اذ ذاك على الفرس فولوا الادبار وهزم اليونان جيوشهم وأفنوا أساطيلهم فصار اليونان مستقلين أحرارا فساعدتهم الحرية على ادراك الغاية القصوى من العلوم والصنائع وكانت اثينا ذات اقتدار في البحر واسبارطه قديرة في البر ثم ابتلى اليونان بعدئذ بالفتن والانقسام (فكان ذلك أول أدلة هرم دولتهم كما قال ابن خلدون : ان أول مايقع من آثار الهرم في الدولة انقسامها) فانشقت عصاهم وتخاصموا خصومات أفضت بهم الى الضعف والوهن وذلك فى أيام فيلبس ملك مقدونيا وهو أبو الاسكندر فدوخهم فيلبس وأبدى الاسكندر وهو حديث السن مروءة وأقداما وكان سببا في انتصار أبيه ولم يزل فيلبس يقمع ويقهر من استعصى عليه من أمم مملكته ويرتب أمورها حتى قتله مقدوني فمات الموت الاحمر ثم ملك بعده ابنه الاسكندر وهو الملقب بالاسكندر ذى القرنين ومن علماء العرب من لايسلم بذلك ويرى انه غيره . زعم بعضهم أن ذا القرنين ملك قديم كان في زمان ابراهيم خليل الله وزعم آخرون انه ملك من ملوك حمير والائمة كالطبري والمسعودي وغيرهما على ان الاسكندر المقدونى هو ذو القرنين فبناء على ذلك نسبوا اليه الدخول في أرض الظلمات (فى بلاد سيبيريا في شمال آسيا) وفي عين الخلد ونسبوا اليه كذلك أمر يأجوج ومأجوج ونص على ذلك صاحب لسان العرب . واختلف في سبب تلقبه بذى القرنين . قيل لانه ملك الشرق والغرب وقيل غير ذلك . والسبب الصحيح ان الاسكندر أمر بتصوير نفسه على النقود بصورة (أمون) وهو اله من آلهته كما جرت العادة عند الفراعنة وصورة أمون هذا ذات قرنين كقرني الكبش فلذلك سمي الاسكندر ذا القرنين .

١٦

جزئيات المحاضرة

محاربة الاسكندر بلاد فارس . القتال على نهر غرانيكوس (في اناضول) . القتال فى اسوس (بقرب ادنه) والقتال فى جوجا ميلا فى ناحيــة اربل . موت دارا الاصغــر . محاربة الاسكندر أمم طوران وفور ملك الهند ورجوعه من غرواته . موت الاسكندر . الحروب التى نشبت بعده بين قواده . المعركة فى ابسوس (في آسيا الصغرى) . كون أخبار الاسكندر على نوعين أى الاخبار الصحيحة والاخبار غير الصحيحة . لمحة في تآليف حكماء العرب في فن التاريخ

* * *

بعد أن قهر الاسكندر من حوله من اليونان ممن خلع طاعته وشق العصا فردهم الى الطاعة ولم شعثهم وأعلى كلمته عليهم عزم على المسير لمحاربة الفرس وكان ملكهم اذ ذاك داريوس الثالث أى دارا الاصغر فأعد لهم مااستطاع من قوة وارتحل من مملكته على طريق بوغاز الدردنيل الى آسيا الصغرى فالتقى الجمعان على نهر غرانيكوس في أناضول قريبا من بوغاز الدردنيل وذلك في سنة ٣٣٤ ق م فأثخن الاسكندر فى جيوش الفرس وهزمهم وفرق جمعهم فجمع بعد ذلك دارا جيشا جرارا ليثأر لنفسه ولقومه من واتريه فزحف الاسكندر اليه وقاتله شد قتال وقهره فى اسوس على ساحل البحر بالقرب من ادنه واسكندرونه وذلك في سـنة ٣٣٠ ق م وفر دارا هاربا وراء الفـرات وأسرت أمه وزوجته وأولاده وتسلط الاسكندر على فينيقيا وفلسطين ثم قصد مصر واسـتولى عليها وبني مدينــة الاسكندرية كما هو معلوم وذلك بعيد سنة ٣٣٣ ق م . وبعد أن فرغ من هــذا رجع الى محاربة دارا فالتقي الجحفلان في سهل يقال له جوجا ميلا قريبا من اربل (قرب الموصل) وحمل الاسكندر على جيوش الفرس وفرقهم شـذر مذر وذلك في سنة ٣٣١ ق م وفر دارا الى الجبال وخراسان فقتله هنالك عامل من عماله اسمه بسوس كان يحمل حقدا على دارا فجد الاسكندر في طلب بسوس هذا حتي بلغ ماوراء النهر فأدركه وأسره وقتله

ولما ستقر ملك ايران للاسكندر أراد أن يقهر الامم المجاورة لبلاد فارس من شمالها

وشرقها وهي التي يزال لها طوران وقاسى في هذا الغزو من المشقات والاصاب ما لا يوصف حتى تبرم الجند بالحرب وسئمها ثم رجع الاسكندر من الشمال وقصد الهند في سنة ٣٢٧ ق م وقاتل الملك فور صاحب الاميال وبعد سنتين رجع ادراجه ولم يزل يرتب أمور المملكة ويبدع نظاما جديدا في جنده الى أن وصل الى بابل قيل انه أضمر في نفسه غزو المغرب ومحاربة الرومان بيد أن داء أصابه لادواء له مات به في سنة ٣٢٣ ق م وعمره ٣٣ سنة : أما قول ابن خلدون وغيره انه مات في سنة ٤٢ من عمره فغير صواب ولعله من أغلاط النساخ : انتصب ملكا وعمره ٢٠ سنة فمدة ملكه ١٣ سنة ومن بعد موت الاسكندر نشبت الحرب بين قواده اذ أولع كل منهم بالرياسة والاستبداد بالملك وتمادت تلك المنازعة عشرين سنة ونيفا ثم حدثت بعدئذ هيجاء في ابسوس في آسيا الصغرى انقسمت المملكة على اثرها انقساما لااجتماع بعده وغب حوادث يطول ذكرها قسمت المملكة ثلاثة أقسام كبار فصارت مصر لبني بطلميوس والشام والمشرق لبني سلوقس ومقدونيا لكساندر وثم لدمترس

ولا ريب في أن الاسكندر من اكبر ملوك الارض وأجلهم اذ جمع بين شجاعة النفس والفهم الثاقب والرأي السديد أذل رقاب الجبابرة بعدا وقربا ونظم مااجتازه أحسن تنظيم وهذا مع حداثة سنه فانه تقلد الملك وعمره ٢٠ سنة كما تقدم فتعجب أهل عصره من اقتحامه الممالك ومن مآثره المدهشة التي أكبرها الناس بعد موته وزادوا على أخباره الصحيحة أخبارا عجيبة مستحيلة غلوا منهم شأنهم في كل عظيم محبوب . فلهذا السبب التآليف التي وضعت في أخبار الاسكندر نوعان نوع فيه الاخبار الصحيحة دون غيرها ونوع فيه صحيح الاخبار وسقيمها وخصوصا القصص المتعلقة بغزو الامم الشمالية من طوران ودخوله أرض الظلمات

هذا ما كان من أخبار اليونان بغاية الاختصار من اول أمرهم الى الاسكندر والي الملوك بعده وسنذكر ماجاء من ذلك في تآليف العرب وتواريخهم ونقدم ذكر من اشتهر من حكماء العرب في علم التاريخ كما فعلنا في علم الجغرافيا على وجه الاختصار فنقول.

ان أول مادون علماء العرب في علم التاريخ هو سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وكتب المغازي وأيام العرب كحرب داحس والغبراء ويوم حزازه وأيام الفجار وأخبار

الانبياء من بني اسرائيل وتاريخ مكة والمدينة ومن هذه التآليف كتاب (سيرة رسول الله) لمحمد بن اسحاق المتوفى سنة ١٥١ هـ وهو مفقود غير ان عبد الملك بن هشام المتوفي في الفسطاط سنة ٢١٨ هـ نقل عنه سيرته المشهورة فسميت سيرة ابن هشام وهي أشهر من أن تذكر طبعت غير مرة تارة مستقلة وتارة على هوامش كتب أخرى. ومنها كتاب (المغازى) لموسى بن عقبة الاسدى المتوفي سنة ١٤١ هـ و (المغازى) لمحمد ابن عمر الواقدى المتوفي سنة ٢٠٧ هـ وقد نحلوا الواقدى تآليف كثيرة ليست له كفتوح الشام وفتوح مصر وفتوح البهنسة فان هذه الكتب صنفت في أيام الصليبيين على الارجح ثم نسبت للواقدي زورا وبهتانا



أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب

١٧
جزئيات المحاضرة

تتمة الكلام على أصحاب المغازي وأخبار العرب . محمد بن سعيد وهشام الكلبي وعلان الشعوبي. أصحاب التواريخ المطوّلة. المدائني . زبير بن بكار . البلاذرى. الطبرى وغيرهم . كتب سير الملوك دون أخبار الامم . العتبي . الكاتب الاصفهانى . بهاء الدين الحلبي . شهاب الدين أبو شامه . المقريزى . تواريخ الامم . ابن مسكويه . القضاعي . ابن الاثير . ابن الجوزى وغيرهم . حكماء التاريخ في القرن الثامن . شمس الدين الذهبي . ابن كثير . وآخرون . ذكر أخبار اليونان في هذه الكتب .

***

ويشبه كتب المغازى كتاب الطبقات الكبير لمحمد بن سعد المعروف بكاتب الواقدى المتوفي سنة ٢٣٠ . وكتاب النسب الكبير في أخبار العرب القدماء . وكتاب تنكيس الاصنام لهشام بن محمد الكلبي المتوفي سنة ٢٠٤ وقيل سنة ٢٠٦ هـ . قيل ان ابن الكلبي ألف مائة رسالة وأربعين رسالة لم يبق منها الآن الا رسالتان أو ثلاث رسائل . ومن علماء العرب من كذب ابن الكلبي كصاحب الأغاني فانه نقل خبرا عنه ثم قال هذا من أكاذيب ابن الكلبي . ومنهم من أثنى عليه كياقوت الحموى فانه قال فيه : ولله دره ماتنازع العلماء في شيء من أمور العرب الا كان قوله أقوى حجة وهو مع ذلك مظلوم وبالفواضل مكلوم :

ومن هذه التآليف كتاب (التيجان) فى أخبار العرب (أى في أخبار شبه جزيرة العرب) والانبياء ألفه عبد الملك بن هشام الذى ذكرناه في المحاضرة السادسة عشرة ومثله كتاب (حلبة المثالب) ألفه علان بن الحسن الشعوبي وعلان هذا من المتخرجين في دار الحكمة البغدادية التى ذكرناها قبلا انضوى إلى لفيف الشعوبية وهم يدعون أن العجم أفضل من العرب فطعن في كتابه هذا في قبائل جزيرة العرب وذمها وعابها

وقد رد على الشعوبية جماعة من العلماء منهم ابن قتيبة الدينورى في رسالته تفضيل العرب.
وقد ذكرنا قبلا تواريخ مكة والمدينة .

ولا تكاد تجد في هذه التآليف كلها شيئا من أخبار اليونان اذ لا فرصة فيها لذكرهم اللهم الا ماجاء من تفسير ذى القرنين في سورة الكهف

ولما اتسعت مملكة العرب ونجحت عندهم العلوم التفت علماؤهم الى أخبار الخلفاء والروم والفرس وذلك منذ أواخر القرن الثانى وأقدمهم في هذا على بن محمد المدائني المتوفي سنة ٢٢٥ وقيل ٢١٥ هـ وهو صاحب كتاب المغازى وكتاب تاريخ الخلفاء وكلا الكتابين مفقود . ومن هؤلاء العلماء الزبير بن بكار القرشى ألف كتابا في نسب قريش وأخبارهم وكتابا آخر سماه الموفقيات تكريما للموفق ابن الخليفة المتوكل بالله وهو كتاب جليل وألف كتبا أخرى مفقودة . ومنهم أحمد بن يحيى البلاذرى المتوفي سنة ٢٧٩ هـ لقب بالبلاذرى لانه شرب من عصير البلاذر وهو نبات من نباتات الهند فجن ومات . وكان من ندماء المتوكل والمستعين بالله وله كتاب فتوح البلدان وكتاب أنساب الاشراف ويعرف كذلك بكتاب الاخبار والانساب . ومنهم محمد بن يحيى الصولى المتوفي سنة ٣٣٥ هـ وله كتاب أوراق أخبار آل عباس وأشعارهم وكتابه هذا بمصر دون غيرها من البلدان . ومن هذا الجيل كذلك حمزة الاصفهاني ألف تاريخا أنجزه فى سنة ٣٥٠ هـ .

وأخبار اليونان في هذه الكتب قليلة الي الغاية ويستدل بالموجود منها على المفقود. أما الطبرى والمسعودى وهما من اجلاء مؤرخى العرب فانهما على خلاف ذلك فقد عقدا أبوابا في كتبهما لذكر اليونان ولطبقات ملوك الفرس وأكثرا الكلام عليهم . أما الطبري فهو محمد بن جرير المتوفي سنة ٣١٠ هـ وله من الكتب أخبار الرسل والملوك وتهذيب الآثار . وتفسير القرآن واختلاف الفقهاء . قال ابن الاثير ان كتاب أخبار الرسل والملوك هو الكتاب المعول عليه عند الكافة والمرجوع عند الاختلاف اليه والمسعودى غرة المؤرخين ونجمهم الثاقب والمتأخرون لم يزيدو شيئا على أولئك الفحول وما هو معروف ومطبوع من كتب المتأخرين يدل على مالم يطبع فان بعض

المتأخرين اقتصر على سيرة ملك من الملوك دون اخبار الامم كمحمد العتبى المتوفي سنة ٤٢٧ ﻫ فانه ألف كتابا سماه : اليمينى في سيرة أمين الدولة الغزنوي : وكعماد الدين الكاتب الاصفهاني المتوفي سنة ٥٩٧ ﻫ فانه ألف كتابا سماه : الفتح القسي في الفتح القدسى : وكبهاء الدين الحلبى المتوفي سنة ٦٣٢ ﻫ فانه ألف كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية . وكشهاب الدين أبو شامة المتوفي مقتولا سنة ٦٦٥ ﻫ وهو صاحب كتاب الروضتين في أخبار الدولتين وهذه الكتب هى أخبار نور الدين وصلاح الدين وليس فيها ذكر اليونان .

ومن العلماء المتأخرين أحمد بن محمد بن مسكويه صاحب تجارب الامم المتوفي سنة ٤٢١ ﻫ . ومحمد بن سلامة القضاعي صاحب كتاب (الانباء بأنباء الانبياء)وتواريخ الخلفاء وله كتاب آخر اسمه عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف ومنهم أبو منصور الثعالبى صاحب الغرر فى سير الملوك وأخبارهم . ومنهم عز الدين بن الاثير المشهور صاحب الكامل في التواريخ المتوفي سنة ٦٤٠ ﻫ . ومنهم ابراهيم بن أبي الدم الحنبلى صاحب التاريخ المظفر وشمس الدين سبط ابن الجوزي صاحب مرآة الزمان في تاريخ الاعيان المتوفي سنة ٦٥٤ ﻫ

١٨

جزئيات المحاضرة

ذكر من اشتهر فى علم التاريخ فى القرن الثامن والتاسع . الأمير بيبرس المنصورى . الذهبى . ابن كثير . محمد بن دقماق . ابن خلدون . أبو محمد العينى . المؤرخون من الملة النصرانية . ذكر مايوجد فى تواريخ العرب من أخبار اليونان . رواية المتأخرين فى الاسكندر ومنها ذكر الخراج وذكر موت دارا الاصغر وقصة هلاى أم الاسكندر . ذكر حيل الاسكندر فى حروبه . ذكر الحكم والمواعظ

***

المؤرخون في القرن الثامن والتاسع كثيرون ولا نذكر منهم الا الاعيان ممن يجدر بنا أن نذكرهم . منهم الامير بيبرس المنصورى وهو من مماليك السلطان المنصور قلاوون توفي بيبرس هذا سنة ٦٢٥ ﻫ وله كتاب زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة .

ومنهم أبو الفداء المشهور وقد تقدم ذكره . ومنهم محمد شمس الدين بن أحمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ ه وله كتاب تاريخ الاسلام وهو مطول . ومنهم محمد بن شاكر الكتبي المتوفي سنة ٧٦٤ ه وله كتاب عيون التواريخ وكتاب فوات الوفيات وهو ذيل كتاب ابن خلكان المشهور . ومنهم اسماعيل بن عمر بن كثير المتوفي سنة ٧٧٤ ه وله كتاب البداية والنهاية . ومنهم محمد بن دقماق المتوفي سنة ٨٠٩ ه وله كتاب نزهة الانام في تاريخ الاسلام . ومنهم عبد الرحمن بن خلدون المتوفي سنة ٨٠٨ ه وهو الامام في علم التاريخ المعترف له بالفضل والتقدم وكتابه (العبر وديوان المبتدا والخبر) أشهر من أن يذكر لاسيما مقدمته التى ملأ بريد ذكرها الآفاق . ومنهم أبو محمد العينى المتوفي سنة ٨٥٥ ه وله كتاب عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان وهو مطول

ومن علماء التاريخ المشهورين من النصارى في هذه الازمان . جرجس بن العميد المتوفي سنة ٦٧٢ ه وله كتاب عنوانه المجموع المبارك . ومنهم بطرس بن الراهب . ومنهم ابن العبري السرياني المشهور وله كتاب مختصر الدول

هذه هى تآليف التواريخ التي اشتهرت عند العرب من القرن الثانى للهجرة الى مابعده . وكل ماجاء فى كتب المتأخرين من أخبار اليونان انما هو منقول عن المتقدمين كالطبري والمسعودي فلا طائل في استيفاء البحث عن أقوالهم اذ المعول عليه هو قول المتقدمين .

***

أما أخبار اليونان القدماء كنزول الدورية وأمر اثينا واسبرطه وحروبهم مع دارا الاكبر فلا يكاد الباحث يجد أدنى ذكر منها في كتب العرب فان أول ملك لليونان انتهى خبره الى العرب هوفيلبس أبو الاسكندر .

وقد تقدم أن اخبار الاسكندر على ضربين . فالضرب الاول الاخبار التى رواها من عاشره ونادمه من المعاصرين له وزال عنها الشك والارتياب . والضرب الثاني مارواه المتأخرون وكل ماجاء فيه من المستغرب المستحيل هو مظنة الكذب . وهذا الضرب الثانى كثير في كتب الروم والسريان والحبش والعرب . ويجب على صاحب الذوق السليم أن يقابل هذه الرواية مع تلك ويأخذ حذره من أن يصدق كل مايقرأ

أو يسمع ولله در ابن خلدون اذ يقول : وكثيرا ماوقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط فى الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو ثميناً لم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها :

ومن هذا القبيل ماذكره الطبري ونقله عنه ابن الاثير وآخرون من خراج كان يحمله فيلبس أبو الاسكندر الى دارا وهو بيض من ذهب . قالوا : ولما تقلد الاسكندر الملك استعصى على دارا وأبطأ عليه بالخراج فسأله دارا اياه فأجابه انني قد ذبحت الدجاجة التى كانت تبيض هذا البيض وأكلت لحمها : فان الخراج انما كان يونان آسيا الصغرى يؤدونه الى دارا الاكبر وبين دارا الاكبر والاسكندر مائة وخمسون عاما تقريباً .

ومنه ماحكاه الطبرى ونقله عنه ابن الاثير من أن الاسكندر لحق دارا وهو بآخر رمقه ومسح التراب عن وجهه ووضع رأسه فى حجره فخاطبه قبل أن تنقضى أنفاسه المعدودة ولاطفه وقال له ياملك الملوك وحر الاحرار أوص بما احببت فأوصاه دارا بأن ينتقم له من الرجلين اللذين قتلاه وأن يتزوج ابنته روشنك . فان دارا هرب بعيدا من الاسكندر وقتله بسس كما تقدم وأدركه الاسكندر وهو جثة هامدة والجيفة لاتخاطب ولا توصى وأما تزوج الاسكندر بروشنك واسمها الاصلى روكسانه فصحيح غير ان روشنك هذه ليست بنت دارا وانما هى بنت أمير من أمراء السغد .

ومن اغرب ماحكي أن دارا الاكبر تزوج أم الاسكندر واسمها هلاى ولما حملت اليه كره نتن ريحها وسهكها فعالجها الاطباء بماء شجرة يقال لها بالفارسية سندر ولم ينجع فيها هذا الماء نجعا تاما فردها دارا الى اهلها وقد حملت منه ولدا فولدته وسمى ذاك الولد هلاى سندر ثم عرب الاسم وقيل الاسكندر . وهذا حديث خرافة فان دارا الاكبر مات سنة ٤٨٥ قبل الميلاد وولد الاسكندر سنة ٣٥٦ ق . م . أى بعد موت دارا بمقدار ١٣٠ سنة تقريبا فكيف يكون هذا . وأما اسم الاسكندر فهو يونانى قديم ومعناه دافع العدو ثم عرب فصار الاسكندر ليتيسر النطق به بالحروف الاصلية المتنافرة وليس السندر منه في شيء .

***

وذكرت للاسكندر حيل في الوقائع مستحيلة لاذكرى لها البتة في كتب من عاصره وشاهد حروبه . منها انه في قتاله فور ملك الهند اتخذ فيلة من نحاس وضع في بطونها النفط والكبريت وأشعل النار فيها يوم الوقيعة فضربت افيال فور بخراطيمها تلك الفيلة النحاسية فاحترقت وولت الادبار وانهزم جيش فور وولى لايلوى آخره على أوله . وكل هذا من الاساطير والهذيان كما لايخفي . ويقاس عليه مايشابهه مما لاأصل له ولا حقيقة .

***

وكان الاسكندر تلميذ ارسطوطاليس ولهذا نسبت اليه أقوال وحكم هي للفلاسفة الذين بعدهم . من هذا ماحكاه المسعودي ونقله عنه ابن الاثير وغيره من حكماء اشتهروا بعد موت الاسكندر كانوا يطوفون بتابوته ويتكلم عند ذلك كل واحد منهم بكلام من الحكم والمواعظ وهي ثلاثون حكمة منها هذه : يامن ضاقت عليه الارض طولا وعرضا ليت شعرى كيف حالك بما احتوى عليك منها : واستفاضت هذه الحكم ومثلها على ألسنة الناس .

١٩

جزئيات المحاضرة

ماذكره ابن خلدون من تاريخ اليونان . تصحيفات كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون . أخبار حكماء اليونان في كتب العرب . أساطين الحكمة من اليونان . فرقة المشائين من طلاب الحكمة .

***

ماذكر في المحاضرة الثامنة عشرة هو الذى ورد في الطبرى والمسعودى وابن الاثير وجماعة من المتأخرين . وأما ابن خلدون فقد ذكر في العبر وديوان المبتدا والخبر أسماء وحوادث لم يذكرها غيره من مؤرخى العرب نقلها عن هورسيوس وهو من علماء القرن الخامس بعد الميلاد وعن جرجيس بن المكين وقال في أمر الخراج الذى يؤديه اليونان الى دارا انه عدد من كرات الذهب أمثال البيض ضريبة معلومة على اليونان . ولا يستغرب هذا فان النقود المضروبة قليلة نادرة في ذلك الزمان والذهب كان يوزن بميزان

وذكر كذلك ملوكا كانوا قبل فيلبس كامته غير ان الخط الذى أخذ عنه الطبع ناقص وفي أمكنة منه خلال لبياض فى الاصل وتصحيف لايدخل تحت حصر . ومن ذلك اسم أم الاسكندر فانه فى كتابه لينباده والصواب التيبياده واسم بطلميوس ايفانس والصواب ايفانس واسم ملك قرطاجنه (قرب تونس) اشدريال والصواب اشدربال وسلفيوس اوسلقنوس والصواب سلقيوس . وكذلك أسماء أخر ذكرت مضبوطة فى صفحة ومغلطة فى أخرى كقوله فى بطلميوس الثاني أن لقبه فيلادلفس وهو فى غاية الضبط وسماه قبيل هذا قلديتيس وكذلك بطلميوس الثالث المسمى بالصانع اى صانع الصنائع فانه فى الطبع بطلميوس الصائغ . وهذا مما يغوى القارىء ويغالطه .

وظاهر كلام ابن خلدون ان امتعاض الفرس انما هو لسبب انتزاع الاسكندر بيت المقدس منهم فلذلك قاتل دارا الاسكندر فغلب دارا مرة ثم اخرى فى طرسوس ثم تزاحف مع الاسكندر وهزم وقتل . والصواب ان الاسكندر لم يستول على بيت المقدس الا بعد نصرته الثانية فى اسوس قريبا من طرسوس ومن بعدها وملك فلسطين وبيت المقدس وأسس الاسكندرية وهى أول مدينة بناها الاسكندر وأكبرها وأجلها

***

وأخبار حكماء اليونان وفلاسفتهم الى عهد الاسكندر كثيرة فى كتب العرب ككتاب الفهرست لمحمد بن اسحاق النديم المتوفى سنة ٣٨٥ هـ . وكتاب تاريخ الحكماء لابن القفطي المتوفى سنة ٥٦٨ هـ وابن القفطى هذا أحسن الى ياقوت وساعده وسهل عليه تأليف كتبه . وتاريخ الحكماء الاصلى مفقود والذي يتداوله الناس الآن هو مختصر اختصره الزوزني بعد موت المصنف بمائة سنة تقريبا . وكتاب عيون الانباء فى طبقات الاطباء لابن أبى أصيبعة الدمشقى المتوفي سنة ٦٦٨ هـ . ويشبه هذه التآليف كتاب الفصل لعلى بن حزم الظاهري القرطبى المتوفي سنة ٤٥٦ هـ. وكتاب الملل والنحل للشهرستانى المتوفي سنة ٥٤٨ هـ .

***

ومن مشهورى حكماء اليونان عند العرب الحكماء الخمسة المعروفون بأساطين الحكمة (الذين سماهم هذا التسمية هم العرب انفسهم لاأهل أوروبا) وهم فيثاغورس بوع

فى القرن السادس قبل الميلاد وأخباره غير أكيدة . وأنبد قليس وكان في القرن الخامس قبل الميلاد وكلاهما من اليونان القاطنين فى جنوب ايتاليا . وزعم الشهرستاني وتبعه أبو الفداء وغيره ان أنبد قليس كان في أيام داوود النبي دفيثاغورس كان في أيام سليمان ابنه وهذا غلط والصواب ماقلناه . ويوهم قولهم ان أنبد قليس من فيثاغورس والصواب عكسه . والثالث من أساطين الحكمة سقراط مات مسموما سنة ٤٠٠ أو ٣٩٩ ق م أى قبل الاسلام بألف سنة تقريبا وتعاطى سقراط التفحص عن النفس الانسانية وقواها وتهذيب أخلاقها وكان رجلا عفيفا زكيا لكن ماحكي من اعتزاله واقامته في غار معرضا عن ملاذ الدنيا فليس بمتحقق وقال بعضهم ونقله كذلك ابن خلدون انه يعرف بسقراط الدن لسكناه في دن من الخزف . والصواب أن الذي كان يسكن الدن انما هو ذيوجانس لاسقراط . والرابع من أساطين الحكمة أفلاطون المتوفى سنة ٣٤٧ ق م وكان تلميذ سقراط وعنه أخذ لاعن فيثاغورس كما زعم بعضهم والخامس من الاساطين ارسطوطاليس وهو منقطع القرين وسيد حكماء اليونان غير مدافع وضع كتبا عديدة في جميع العلوم الفلسفية

ومن مؤرخي العرب من جعل أساطين الحكمة سبعة زاد على المذكورين ثلاثة وهم ثاليس وانكساغورس وانكسيمانس ولم يعد منهم ارسطوطاليس

***

وزعم القفطي في موضع من كتابه ان أفلاطون كان يعلم الطالبين الحكمة وهوماش فسمى الناس فرقته المشائين وقال فى موضع آخر ان فرقة ارسطوطاليس هي المسماة فرقة المشائين والثانى هو الصحيح لاالاول .

٢٠

جزئيات المحاضرة

ورثة مملكة الاسكندر بطلميوس سلوقيس «سلقيوس» Seleucus كساندرودمطرس. أخبار الرومان . سكان ايتاليا القدماء أي اللطين وأخوتهم الغاليون أو الكلتيون الاطرسك Etrusques اليونان والفينيقيون الذين فى جنوب ايتاليا . بناء مدينة رومية . روملس وأخوه ريمس . الاشراف والعوام . الملوك السبعة الى طردهم وتأسيس الجمهورية

قال الطبرى وتبعه جماعة انه لما مات الاسكندر عرض الملك على ابنه اسكندروس فأبى واختار العبادة وهذا ليس بأكيد فان الاسكندر لم يمت عن ولد صغير أو كبير وورث ملكه قواده كما تقدم . ولم يذكر الطبرى ولا غيره من ورثة الاسكندر الا البطالسة والصحيح ماقلناه آنفا من انقسام المملكة الى ثلاثة أقسام كبار أخذها مصر وفلسطين أصابه بطلميوس الاول نصيبا له وكان بطلميوس هذا يسمى لاغس ومعناه في اليونانية الارنب فلذلك سماه المسعودي بطلميوس بن الارنب ثم آل الملك لابنه بطلميوس الثانى وللبطالسة بعده الى أن انتظمت مملكتهم مع مملكة الرومانيين وذكر حكماء العرب اسماء البطالسة .

وأما ملوك الجزئين الآخرين كسلوقيس وكساندر فلم يذكر مؤرخو العرب من اخبارهم الا شيئا يسيرا للغاية

والخلاصة ان الذى وصل خبره العرب من امور اليونان هو فى الاغلب اخبار الاسكندر والبطالسة غير انه تابع في معظمها رواية المتأخرين لارواية المتقدمين المدققين المعاصرين للاسكندر وعلى هذا المنوال كثير من كتب الروم والسريان والحبش

* * *

هذا ما كان من أمر اليونان وأخبارهم عند العرب . وأما الرومان فهم طائفة من أمم ايتاليا الهند جرمانية اى اللاتين واخوتهم كما تقدم كان مثواهم الاول مع اليونان في الشمال وهذا في الزمان القديم الذى يصدق عليه قول الشاعر

زمن الفطحل اذ السلام رطاب

ثم نزل اليونان الي اغريقية واللاتين واخوتهم كالسبين الى ايتاليا واستوطنوا معظم البلاد المتوسطة منها وفى شمالى ايتاليا أى في الناحية التى يقال لها الآن لومبارديا وفي غيرها كان قديما مسكن الغاليين وهم الكلتيون وقد تقدم انهم من الهند جرمانية كذلك وفي بعض النواحى المتوسطة من ايتاليا كان مثوى طائفة أخرى تسمى الاطرسك ومنهم اشتق اسم توسكانا وهو الآن من أجل كور ايتاليا واختلف في كنه جنسهم ومن العلماء من عدهم من الامم الهند جرمانية ومنهم من لايسلم بذلك والمسألة ذات خلاف وجدال ولا محل هنا لاستيفائها . وأما جنوب ايتاليا وصقليا فاحتلهما قوم من

اليونان والفينيقيين من مدينة قرطاجنة وهم البونيون غير ان اليونان والبونيين اجتازوا البحر الى هذه البلاد ثم استوطنوها وكثروا فيها لاسيا اليونان . وقد ذكر ان فيثاغورس وانبدقليس وهما من مشهوري الحكماء من اولئك اليونان القاطنين فى جنوب ايتاليا وفى صقليا وفي وسط ايتاليا كان اللاتين ومنهم روملس الذى بني مدينة رومية على نهر يسمى تبره فان دأب من بنى المدن في الزمن القديم أن يبنيها على الانهار أو قريبا منها وذلك لاحتياجهم الى الماء العذب لاماحة الانعام (لسقايتها) وكان اسم النهر القديم رومون وقيل بل هو اسم اله هذا النهر حسب توهمهم ان لكل مكان الها يسكنه ويحميه ومنه اشتق اسم المدينة كما سميت رومية باسم النهر . وكان لروملس أخ اسمه ريمس فقتله واستبد بالملك وحارب السبين ثم صالحهم ورتب أمور المملكة وقسم الناس الى قسمين عامة وخاصة وهم الاشراف ومنهم انتخب المشيخة (مجلس الشيوخ) . وكانت للاشراف حقوق وامتيازات ليست للعامة وأفضى ذلك بهم الى تشاجر وتنازع كما سيأتى . ثم غاب عنهم روملس بغتة والذى شاع وقتئذ واستفاض انه ارتفع الى السماء وهذا بالازمار أشبه منه بالصحة

٢١

جزئيات المحاضرة

قول المسعودى في روملس . الملوك الستة بعد روملس . طرد الملوك وابتداء الجمهورية . اقامة القنصلين . تنازع العوام مع الاشراف وانصراف العوام من المدينة . مثل المعدة والاعضاء . محاربة الرومان سائر اللطين والاطرسك . غزو الغاليين رومية في سنة ٣٨٧ . استيلاء الرومان على ناحية كامپانيا في جنوب رومية . الحروب مع السمنيت.

***

ذكرنا في المحاضرة الاخيرة اخبار روملس . ثم نقول ان الطبرى أهمل اخبار روملس وأول من ذكره من ملوك الرومان هو طيباريوس لاغيره فسطر المسعودي هذه الاخبار ونقلها عنه ابن الاثير . ويقول المسعودي

أول من يعد ممن ملك فى رومية غايوس قيصر وقد كان ملك فيها قبله ملوك أولهم روملس وأرمانوس المعروفان بابني الذئبة . اه

وأصل هذه التسمية من حكاية شائعة ذائعة عند القدماء وهي انه لما ولد روملس وأخوه ريمس أضمر جدهما أن يهلكهما خوفا منهما على نفسه ومملكته فأمر بوضعهما في تابوت واغراقهما في نهر وكان اذ ذاك فيضان فلما رجع النهر الى مجراه رسا التابوت تحت شجرة فسمع راع هناك صراخا وأسرع الى الناحية التي منها يصدر استهلال الطفلين فرأى أمرا عجيبا مدهشا وهو أن ذئبة ترضعهما فاتخذهما ابنين له ورباهما ولهذا السبب صارت الذئبة والطفلان شعار رومية (ولذلك قال المسعودي المعروفان بابني الذئبة) .

ثم تناوب اللاتين والسبين على الملك وكان روملس من اللاتين والملك الثاني كان من السبين والثالث من اللاتين والرابع من السبين . اما الخامس فمن الاطرسك وكذلك السابع فيعلم من هذا أن الاطرسك كانوا قد تغلبوا على مدينة روميه .

وقد قيل ان الملك السادس من العبيد وهذا الملك أبدع ترتيبا جديدا وقسم الشعب خمسة اقسام اعتمادا على قدر الجباية المضروبة على كل واحد منها . وجعل الاشراف والاغنياء اصحاب الامر والنهي دون العوام .

وكان الملك السابع طاغيا ظالما حتى سمي سوبردومس اي المتعجرف فطرده الرومان اشرافهم وعوامهم وأخرجوه من المدينة وأمنوها بأسه فأصبحت الحكومة في أيدي المشيخة (مجلس النواب) وفي أيدي حاكمين يقال لهما القنصلان وهما مكلفان بانفاذ الاحكام . وما كانت رياسة القنصل الا لمدة سنة ثم ينتخب من يخلفه احترزوا بذلك مما كانوا قد قاسوه من جور الملوك الطغاة .

هذا ما استفاض من امر الملوك السبعة . وروى فيهم المؤرخون من الرومان حكايات غريبة لا يقبلها صاحب الذوق السليم الا بارتياب . وهذا شأن الاخبار القديمة وهي كما قيل قد نبت عليها العشب ونسج عليها العنكبوت

وفي اول الحكومة الجمهورية كانت المشيحة والقنصلان من الاشراف دون غيرهم وكانت لهم غضارة العيش والدرجات الرفيعة وللعوام نكد العيش والدرجات الوضيعة فتنازع الفريقان وقالت العوام وهم يحاورون الاشراف اننا ننصب ابداننا في تقويم معايشكم غير ان لكم السلطة والجلالة ولنا الدناءة والسفالة وتآمروا على الاعتزال ولسان حالهم يقول ،

وما بعض الاقامة في الديار * يهان بها الفتى الا بلاء

فتركوا المدينة وانطلقوا الى جبل قريب منها امتناعا من خدمة الاشراف فقصدهم القنصل وحكى لهم مثلا مشهورا وهو مثل المعدة والاعضاء ولا نرى بأسا من ذكره هنا قال القنصل .

تمردت الاعضاء يوما على المعدة وقالت نحن دائما في عناء وكد والمعدة تتمتع بتعبنا وهي في فراغ و بطالة . ثم قالت الرجل لأجول بعد في السوق لابتياع القوت وقالت اليد سأبطل طبخ الاطعمة وانضاجها . وقالت الاسنان سنترك علك المآكل ومضغها . وكذلك سائر الاعضاء ولم يفض بهم ذلك الا الى ضعف وأصبحت الرجل واهية واليد عاجزة والاسنان ضعيفة والعين فاترة والجسم كله واهنا وأحست الاعضاء بان انتفاع المعدة بها يكافيء انتفاعها بالمعدة . قيل ان العوام لما سمعوا هذا المثل فهموا مغزاه ورجعوا الى المدينة وأباح لهم الاشراف نصب حاكم منهم يدافع عنهم وسمى هذا الحاكم تريبونوس .

وفى أثناء ذلك قاتل الرومان الامم المجاورة لهم وكانت الحرب سجالا ثم أضحت النصرة للرومان فاتسعت مملكتهم وفي سنة ٣٨٧ ق م كان غزو الغاليين لروميه وصلوا الى المدينة وخربوها وأتلفوها ثم دفع اليهم الرومان مقدارا من ذهب فانصرفوا الى بلادهم . ولم يزل بعد ذلك الرومان يحاربون الامم المجاورة لهم وكانت بين أمم اللاتين كلها عهد وحلف وكانت لروميه الرياسة عليهم ثم تخاصموا على الرياسة وأخضعهم الرومان واشتغلوا بالسلطة . ولما اتسعت مملكتهم واستدت تخطوا الى نواحى كمبانيا وهي من أطيب نواحى ايتاليا ثرى وأغزرها فواكه وأوفرها خصبا وكان استيلاء الرومان على كمبانيا في سنة ٣٣٨ ق م وكانت روميه تزيد بلا انقطاع وتتسع كورها.

وفى شرقي كمبانيا كانت أمة ذات شجاعة ومروءة يقال لها سمنيت أصبحت مجاورة للرومان بعد استيلائهم على كمبانيا وتصالح الرومان والسمنيت بادىء الامر ثم لم يلبثوا أن تنازعوا فاتقدت نار الحرب بينهم ولم تخمد مدة ٣٦ سنة وأثخن كل منهما في عدوه بالقتل والسبي وانتصر آخر الامر الرومان وأوردوا السمنيت موارد لاصبر لها وأضيفت مملكتهم الي مملكة الروم

٢٢
جزئيات المحاضرة

محاربة الرومانيين مدينة تارنتو ويبروس ملك ايبر . ذكر البونيين وهم فرع من الفينيقيين ومدينتهم قرطاجنة وسلطتهم على نواحى افريقية وعلى جزائر البحر المتوسط . الحروب البونية الاولى والثانية . انيبال قائد البونيين . وشيبيون قائد الرومانيين الحروب مع فيلبس الخامس ملك مقدونيه والحروب مع انطيخس من آل سلوقوس (سلقيوس) الحرب البونية الثالثة وانقراض مملكة قرطاجنة .

***

وبعد استيلاء الرومان علي بلاد السمنيت أصبحت مملكتهم متأخمة لمدن اليونان القاطنين فى جنوب ايتاليا فنشبت حروب بين الرومان وبين مدينة تارنتو ، واشتهر فى هذه الايام بيروس وهو ملك ناحية من اغريقية يقال لها ايبر كان عالى الهمة يفاخر الاسكندر ويباريه حتى أراد أن يسود المغرب كما ساد الاسكندر المشرق واياه استعان أهل تارنتو في مطاردة الرومان فأجابهم بيروس الى ذلك وجمع جيشا جرارا وأرسى في تارنتو وكان قد ساق معه عشرين فيلا أعدها للقتال وهذى أول مرة رأي الرومان الافيال ففزعوا بادىء الامر وولوا الادبار ثم سكن روعهم بعد ذلك وتشجعوا وقاتلوا بيروس خمس سنين حتى انصرف مخزى الى بلاده فاتسعت مملكة روميه باضافة هذه النواحى اليها فى سنة ٢٧١ ق م .

وقد سبق ان للرومان أعداء في الشمال وهم الاطرسك والغاليون فتحالفت هذه الامم وتآمرت على التخلص من سلطة روميه فأخضعهم الرومان وأبادوا الغاليين وأفنوهم وذلك في سنة ٢٨٥ ق م وأراد الاطرسك أن يأخذوا بثأرهم وما كانت عاقبتهم خيرا وامتدت سلطة الرومان على معظم شعوب ايتاليا كلها واليهم حل أمورهم وعقدها وأضحت مملكتهم مصاقبة لمملكة البونيين وهم من الفينيقيين .

ان الفينيقيين من أشهر الامم القديمة وكان مسكنهم في سواحل الشام ومن مدنهم صور وصيدا وعكا ولما منعتهم الجبال (أى جبال لبنان) توسيع مملكتهم في البر ركبوا البحر وتعاطوا التجارة وانتشروا في الجزائر والبلاد القريبة والبعيدة وكانوا فى الزمان

القديم مثل الانجليز في أيامنا هذه وكانت لغتهم تشبه لغـة اليهود والعرب ، ومن المدن التى أنشأها الفينيقيون مدينـة قرطاجنة (١) فعمرت وامتدت المملكة وأصبح أهلها البونيون في القرن الخامس قبل الميلاد مسلطين على شعوب افريقية السا كنة في تلك النواحي وعلى مدن بحرية كثيرة من صقلية وسردانيا وكرسيكا وأندلس

وكانت مملكة رومية فيهذا القرن لم تمتد بعد الى ضفة البحر الملح ولم تكن لهـا أساطيل ثم اتسعت بعد ذلك قليلا قليلا كما فسرناها ولما استولت على سواحل ايطاليا الجنوبية ومدنها البحرية لم يلبث أن تخاصم الرومان مع البونيين وهاجت بينهم الحروب المسماة البونية أو القرطاجنية وعادت الاولى من هذه الحروب من سنة ٢٦٤ الى سنة ٢٤١ ق م وتقاتل الفريقان فى هذه المدة الطويلة في البر والبحر وكانت العاقبة انتصار الرومانيين وانكسار البونيين واستولى الرومان على صقلية الا جزءاً منها ثم على سردانيا وكرسيكا وحقنت الدماء بالصلح ولم يدم هذا الصلح الا ٢٣ سنة وفي أثناء هـذه المدة انتصر الرومان على الغاليين وعلى طائفة الالير (٢) وفي سنة ٢١٨ ق م كان ابتداء الحرب البونية الثانية وكان قائد البونيين أى أهل قرطاجنة أنيبل (٣) من أشهر قواد العالم اجتاز البحر بجيش جرار الى الاندلس ثم مر بالاندلس وبجنوب فرنسا الى جبال الالب وهى شامخة وعرة يعلو قممها الثلج مدار السنة فقطعها أنيبل بتعب وعناء ثم التقى مع جيوش الرومان

---

(١) قرطاجنة بفتح الجيم وتشديد النون المفتوحة . هكذا ضبطه ابن حوقل وياقوت وابن خلدون وآخرون . ومن علماء عصرنا من يكتبه قرطجنة بغير ألف وبغير تشديد ومنهم من يكتبه قرطاجة بغير نون تبعاً للغـة الفرنسوية . ومدينة قرطاجنة في افريقية خربت أيام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وعمرت تونس من خرابها ومن أحجارها واسم قرطاجنة الاصلى مسطور على نقودهم القديمـة الموجودة الى الآن وهو (قرت حدسه) ومعناه المدينة الحديثة ويقارب لفظه (القرية الحدثه)

(٢) الالير امة على ساحل البحر الادرياتيكي في حذاء ايطاليا .

(٣) أنيبل بهمزة مفتوحة ونون مشددة مكسورة وياء ساكنة وباء ومعناه منة بعل (وبعل اله من آلهتهم) . وصحف اسم أنيبل في طبع ابن خلدون فكتب أنبيل بالباء قبل الياء .

مرات كثيرة ووالى عليهم الهزائم ومن أعظم وقائعه معهم وقيعة (كنه) في سنة ٢١٦ ق م قتل فيها من الرومانيين سبعون ألف رجل ولم يقنطوا ويفشلوا بل جمعوا جيوشاً جديدة وتمادت الحرب ثانية ثم اختير قائد للرومان اسمه شيبيون وهو جدير أن يقاتل أنيبل ويفاخره فانه بعد أن تغلب على الاندلس وانتزعها من أيدى البونيين عبر البحر الى قرطاجنة فاضطر أنيبل الى الرجوع من ايطاليا ليدفع شيبيون عن قرطاجنة بلاده ويحميها منه والتقت الفئتان وكان الظفر للرومان وذلك فى سنة ٢٠٢ ق م ثم جنحوا للسلم واضمحلت مملكة البونيين وارتفع الرومان الى ذرى المجد واستولوا على الاندلس وعلى جزائر البحر الابيض المتوسط وأضحى المغرب كله في طاعتهم فحان لهم من وقتئذ الالتفات الى المشرق

٢٣

جزئيات المحاضرة

التجاء أنيبل الى انطيخس ملك الشام وذكر موته ومناقبه. الحرب مع فيلبس الخامس ملك مقدونيا ومع انطيخس الموما اليه. الحرب اليونانية الثالثة وخراب قرطاجنة انقراض استقلال مقدونية. الحرب الداخلية. حرب ماريوس وسيلا. الحرب مع ملك نوميديا (الجزائر). الحروب مع متردات ملك بنطش. الحرب بين قفيوش (أوبيبوش) وقيصر. القتال في فرسالو. قتل قفيوش قتل قيصر. الحروب بين اكتييات وأنطونيوس انقراض الجمهورية وابتداء الملوك (الامبراطرة)

***

أما أنيبل فقد نجا من الاسر وقت افتتاح قرطاجنة والتجأ الى انطيخس ملك الشام وحضه على محاربة الرومان ومات أنيبل سنة ١٨٣ قبل الميلاد ولا ريب في أنه كان من أكبر قادة الاجيال الخالية وان تدبرنا سياسته أيقنا أنها في غاية الاتقان فانه لما كان قد أيقن من شجاعة الرومان وصولتهم أراد الاحتراز فاستغاث بأعداء رومية كافة وشد ازره بهم فاستبد ساعده وقاطع البر الى شمال ايتاليا ليتحد مع الغاليين ثم الى الجنوب ليتحالف مع سكان هذه النواحى الذين قبلوا سلطة رومية عنوة وليسهل انجاد ملك مقدونيا اياه وهو عدو ألد للرومان فتحفظ واحترز وشحذ آلة الرأى ودبر الامور

أحسن تدبير غير أنه كما يقال في المثل : الانسان يدبر والله يقدر :

***

قد تقدم أن مملكة الاسكندر انقسمت الى ثلاثة أقسام كبار أحدها مملكة مقدونيا وكان ملكها في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الثاني قبل الميلاد فيلبس الخامس حاربه الرومان وهزموه سنة ١٩٧ ق م ثم حاربوا انطيخس المومأ اليه آنفا وغلبوه في سنة ١٩٠ ق م ثم بعد ٢٠ سنة تقريبا هاجت الحرب من جديد بين الرومان وبين ملك مقدونيا وانكسرت جيوش ملك مقدونيا في معركة عظيمة وتداعت حينئذ مملكته وولى ملكه .

وابتدأ الرومان ينتزعون لانفسهم ماملكه الاسكندر من البلاد الشرقية وفى سنة ١٤٩ ق م حمي وطيس الحرب بين الرومان والبونيين مدة ثلاث سنين وهذه هى الحرب البونية الثالثة وهدمت مدينةقرطاجنة (قرب تونس) وحولت مملكة البونيين الى ولاية من ولايات رومية وفي هذه الايام صارت مقدونيا كذلك عملا من أعمال رومية . وبعد هذه المآثر والمفاخر الباهرة حدث للرومان ماقد ذكرناه من قول ابن خلدون : ان أول مايبدو من هرم الامم هو الانقسام : وابتليت دولة الرومان بالفتن والحروب مع حلفائها من طوائف ايتاليا وبمحاربة بعض أهلها بعضا

ومن ذلك القتال بين ماريوس وهو متعصب للعوام وبين سيلا وهو متعصب للاشراف ووقع فى هذه الحروب من سفك الدماء والنهب والفواحش مالا يعد ولا يحد. ومات ماريوس سنة ٨٦ ق م ومات سيلا سنة ٧٨ ق م .

وفي أيام هذهالفتن الداخلية استعرت في المغرب وفي المشرق نار حروب منها حرب في نوميديا أي في المغرب ببلادالجزائر ووضعت الحرب أوزارها سنة ١٠٥ ق م وكانت النصرة فيها للرومان . ومنها الحروب مع متردات ملك بنطس على البحر الاسود ويكثر ذكره بهذا الاسم في كتب العرب وربما وقع فيه تصحيف فقيل بحر نيطس . فتجده فى مقدمة ابن خلدون المطبوعة فى موضع منها بحر نيطس وفي آخر بحر بنطس ومثله فيها طرابزيده والصواب طرابزنده.وملك متردات مدة ستين سنة ثم قهرهالرومان وأضحت مملكته عملا من أعمال رومية سنة ٦٣ ق م على يد فمفيوس ويسميه ابن خلدون

(فبفيوس) وهو قائد الرومان وقال ابن خلدون متردات ملك الارمن والصواب انه كان حليفا للملك الارمن لاملكاً لهم .

ومن سنة ٥٨ الى سنة ٤٩ ق م حارب يوليوس قيصر الغاليين في فرنسا واستولى على بلادهم ووصل الى بريطانيا وكان فمفيوس قد تعاهد مع يوليوس قيصر ثم هاجب الحرب بينهما واقتتلا في فرسالو أشد قتال وفر فمفيوس هاربا حتى بلغ مصر مستغيثا بيطلميوس الرابع عشر وكان كما يقال فى المثل . كالمستجير من الرمضاء بالنار . اذ أمر بطلميوس بقتله خيانة وذلك في سنة ٤٨ ق م ثم رجع يوليوس قيصر الى رومية مظفرا منصورا وشعر المتعصبون للجمهورية انه يروم الاستبداد بالملك فقتلوه ختلا ولم تزل بعد ذلك الحروب الداخلية تتأجج نارها أياما ثم اقتتل اكتبيان (هكذا ضبطه ابن خلدون) وانطونيوس وهو الذي تيمه حب كيلو بتره ملكة مصر وتزوج بها وكانت النصرة لاكتبيان على انطونيوس وقلو بطره وكالابتره (هكذا ضبطه المسعودى وابن الاثير) وتلك النصرة كانت في ٣١ ق م فأصبح اكتبيان سيد روميه ورجع أمرها اليه لاالي القناصل وذلك في سنة ٢٧ ق م وأطفأ نار الحروب وطمس معالم الفتن

٢٤

جزئيات المحاضرة

ذكر ماجاء في تآليف العرب من اخبار الجمهورية الرومانية وقول ابن خلدون في ملك نوبه . غايوس يوليوس قيصر . اغسطس أول الملوك وطيباريوس ثانيهم . الطبقات الثلاث · الاولى هى الملوك فى زمان عبادة الاوثان . والثانية في الملوك المتنصرة . والثالثة في الملوك المتنصرة بعد الهجرة . اخبار الطبقة الاولى والثانية عند العرب وأصلها .

***

ان في تاريخ الرومان لعبرة لمن اعتبر اذ نرى أمة قليلة لم تزل تجتهد في توسيع سلطانها مدة سبعمائة سنة ونيف حتي تغلبت على معظم العالم . ولا نذكر من أخبارها وحروبها الا أجلها وأذكرها في غاية الاختصار تمهيدا لما جاء في تآليف العرب من أخبار القياصرة فان استقصاء تاريخ الرومان بعيد من مقاصد محاضراتنا .

قد سبق أن مؤرخى العرب الأقدمين كالمدائنى وزبير بن بكار وابن الكلبي

وغيرهم لم يتعرضوا لذكر شيء من أخبار الرومان وأول من ذكرها منهم هو الطبرى واقتصر على ذكر طيباريوس والملوك الذين بعده الى الملك هرقل واقتصر على مدة سلطنتهم وقد أخلى ذكرهم عن شيء من الحوادث التى كانت في أيامهم (هكذا قال فيه ابن الاثير وهو يعجب من اهمال الطبري اياها)

وأما المسعودى فقد سطرها فى مروج الذهب وفي التنبيه والاشراف وعنه نقلها ابن الاثير. بيد أن الحروب العظيمة واتساع المملكة وانكسار أعدائها كالبونيين والمقدونيين وكل ماذكرناه من أخبار رومية في زمان الجمهورية لا يعثر على ذكر له في كتب العرب الا كتاب ابن خلدون فانه ذكر روملس وأخاه ريمس وأمر الجمهورية وعقد فصلا لذكر فتنة قرطاجنة ثم قال انه دارت الحرب بين أهل رومية وملك النوبة واستظهر ملك النوبة بالبربر يريد الحرب في نوميديا أى في الجزائر التى ذكرناها وليست النوبة من الجزائر في شيء ولا تناسب بربر نوميديا برابرة النوبة فان بربر المغرب قبائل لاتحصى وبلادهم واسعة عريضة . وأهل النوبة ممدوحون حتى جاء في حديث رواه ياقوت : من لم يكن له أخ فليتخذ أخا من النوبة : وبربر المغرب مذمومون محقرون حتى قال الشاعر

رأيت آدم في نومى فقلت له أبا البرية ان الناس قد حكموا

ان البرابر نسل منك قال أنا(١) حواء طالقة ان كان مازعموا

ولعل في الطبع تصحيفاً فكتب ابن خلدون نوميديا لا النوبة

وتقسيم الملوك الشائع عند العرب يشمل ثلاث طبقات الطبقة الاولى هم الصابئون أى عبدة الاوثان من أول ملوكهم الى قسطنطين. والطبقة الثانية هم الملوك المتنصرة من قسطنطين. والطبقة الثالثة هم الملوك المتنصرة بعد الهجرة . ويطلق اسم الروم عند العرب على الطبقات الثلاث . والاصح أن يقال لملوك الطبقة الاولى ولبعض ملوك الطبقة الثانية ملوك الرومان .

قال المسعودى وتبعه ابن الاثير وآخرون ان أول ملك يعدونه في التاريخ الروماني هو غايوس قيصر والثاني يوليوس . وانما يوليوس اسم ثان لغايوس قيصر فان للرومان ثلاثة أسماء وأكثر فغايوس قيصر ويوليوس شخص واحد لا شخصان

واما قول المسعودي بعيد هذا ان اغسطس أول ملوك الرومان فأقرب الى الصواب

(١) قال الاستاذ أنا هنا للتعجب والتقدير نسلى أنا فكأنه يتعجب من نسبة البرابرة اليه

ومعنى اغسطس الجليل وفسره المسعودي بالضياء وهو قريب من المعنى الحقيقي . وقول ابن الاثير ثم ملك اغسطس ومعناه الصبا تصحيف ضياء

والملك الثاني طيباريوس وملك بعده ملوك ذكر أسماءهم علماء العرب وكثرت تصحيفات في الخطوط . وذكر المسعودي وآخرون حوادث شتى كانت في أيام هذه الملوك . منها شأن المسيح في أيام طيباريوس وقتل اصطفانوس رئيس الشمامسة عند النصارى وصلب بطرس و بواص في مدينة رومية منكسين وافتتاح البيت المقدس على يد تيتس الذى ملك من سنة ٦٩ الى سنة ٧١ بعد الميلاد اذ شمل القتل والاذى اليهود ثم اخراب البيت المقدس اخرابا ثانيا في أيام داقيوس وهلم جرا

والبين ان هذه الاخبار كلها تتعلق بدين النصارى واليهود وسطرها المسعودى وابن الاثير وغيرهما وأهملوا أخبار الحروب العظيمة وتركوا الانباء بامور السياسة . فكفى بذلك دليلا على أن حكايات المسعودى منقولة عن الكتب التى وضعها النصارى من الروم والسريان ولم يعتبروا فيها الا مايختص بالملة المسيحية واليهودية و بسير الشهداء وأهملوا أمر الحروب وافتتاح البلدان مع أن كل ذلك كثير في أيام القياصرة فانهم بلغوا من الفتوح ومن توسيع المملكة مالم تبلغ آمال أهل الجمهورية وهممهم

٢٥

جزئيات المحاضرة

سبب اهمال علماء العرب أخبار حروب الرومان وفتوحهم في أيام ملوكهم . غزوة غالوس على جزيرة العرب ورجوعه عنها بالخيبة . امتداد مملكة الرومان في القرن الثاني بعد الميلاد . انحطاط امور الرومان وهبوطهم وانقسام المملكة الى قسمين المملكة الشرقية والمملكة الغربية . انقراض المملكة الغربية واستيلاء البربر على رومية .

***

ومن حروب الرومان في أيام القياصرة التى أهملها علماء العرب غزو غالوس جزيرة العرب . كان غالوس عاملا لاغسطس في مصر فاجتاز البحر الاحمر وأرسى بساحل الحجاز وسار في البر وكابد من العناء والتعب مالا يوصف اذ ضلله وحيره الهداة خيانة منهم ووصل الى مدينة نجران ثم زحف الى مدينة مأرب المشهورة وكلاهما فى بلاد اليمن

وحاصر مأربا ثم تعسر أمرها عليه فأقلع عن الحصار ورجع الى مصر بالخيبة ولم يعد الرومان من ذاك الوقت الى غزو جزيرة العرب .

وكان امتداد مملكة الرومان ونجاح أمورهم خصوصا من سنة ٩٦ الى سنة ١٨٠ ب م وهذه البرهة من الزمان يقال لها السعيدة . وفي أيام الملك طريانس كانت المملكة على أوسع امتداد حتى صارت من أعمال روميه بلاد رومانيا و بعض بلاد النمسا و بعض القسم الجنوبي من روسيا ثم النواحى التي بين جنوب فلسطين والحجاز و بعض الحجاز و بلاد الارمن والجزيرة أى مابين النهرين (دجلة والفرات) .

ولا يوازى هذا الامتداد الا ملك الاسكندر وملك العرب في أول خلافة بني العباس في زمن المنصور ثم الرشيد . ولا غرو أن تكون هذه الاخبار الجليلة مهملة في كتب الروم والسريان التى فى تاريخ الملة المسيحية واليهودية لأنها موضوعة للاخبار الدينية لاالدنيوية بخلاف كتب الرومان وقد يرد ذكر حرب أو حربين فى ابن خلدون نقلا عن هروسيوس وكان من مؤرخى اللاتين

و بعد البرهة السعيدة أى بعد سنة ١٨٠ ب م مالت أمور الرومان الى الانحطاط والهبوط وابتدأ قواد الجنود أن ينتزعوا السلطة لانفسهم فأصبح التدبير والولاية في أيديهم وقد اعترض دولة الرومان ماعترض بعض خلفاء بنى العباس كالمستنصر والمستعين والمعتز وغيرهم . وقد قيل في بعضهم هذه الابيات المعروفة

خليفة في قفص . بين وصيف و بغا * يقول ماقالا له ، كما تقول الببغا

كذلك كان ملوك الرومان في ذلك الزمان اسم الملك لهم والعمل لغيرهم

و يشبه هذا مااتفق لطور نشاه بن الصالح بن أيوب في مصر قتله المماليك وهم حرسة السلطان كذلك قواد روميه كانوا حرسة السلطان فانتصروا لانفسهم .

و بمثل هذا ابتليت دولة الرومان حتى صار أمرهم فوضى لسيادة جهالهم كما قال الأفوه الأودى من شعراء الجاهلية

لا يصلح الناس فوضى لاسراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

وكان ذلك الى أن انتهى الملك الى دقلطيانوس والى قسطنطين . وقسطنطين هو أول ملوك الطبقة الثانية أي الملوك المتنصرة قبل الهجرة وأخبار هذه الطبقة الثانية عند

علماء العرب تشبه اخبار الطبقة الاولى أعنى أن جميعها أو اكثرها في الامور الدينية لاالدنيوية . وأصل هذه يشبه أصل تلك أى أن كليهما من كتب النصارى المعقودة لاخبار الملة المسيحية . وهذه الكتب على ضربين ضرب في تاريخ الحوادث سنة فسنة على الاجمال أو على التفصيل .وضرب فى قصة من قصص الشهداء والقديسين لافي التاريخ كله .

وفي أيام قسطنطين انقسمت المملكة الى قسمين أي المملكة الغربية وقصبتها رومية والمملكة الشرقية وقصبتها القسطنطينية .وفي القرن الخامس بعد الميلاد أغارت الامم البربرية الساكنة فى شمال اوروبا وآسيا مثل الوندال والقوط والفرنك على المملكة الغربية وعلى مدينة رومية وتغلب بعضهم عليها وأثخنوا في أهلها بالقتل والسبي وصح على رومية ماقيل في الاسكندر عندموته : فأصبح آمر الاسراء أسيرا : وتغلب الوندال على جزيرة الاندلس وبهم سميت الاندلس . واستولى الفرنك (الفرنج) على فرنسا وبهم سميت فرنسا .

وكان انقراض المملكة الغربية في سنة ٤٧٦ ب م وكان آخر ملوكهم رومملس اغسطلس (تصغير اغسطس) جمع في لقبه بين اسم الملك الاول الباني لرومية أى رومملس وبين اسم الملك الاول بعد الجمهورية أى اغسطس (١)

قد قلنا قبيل هذا ان اخبار المسعودى وغيره منقولة من كتب دينية للنصارى وان بعض هذه الكتب يحتوى على قصص الشهداء والقديسين دون تاريخ سائر الحوادث. ومن هذا القبيل قصة أصحاب الكهف وهى مشهورة في المشرق وفي المغرب وكان أول ماسطر من هذه القصة عند السريان في الجيل السادس بعد الميلاد أى قبل ظهور الاسلام بمائة سنة تقريبا . ومن كتب السريان انتشرت في الروم والقبط والارمن وسائر الامم وأخرجت الى لغاتهم ونص القصة عند السريان .

ان داقيس تتبع النصارى بالقتل أشد تتبع (وهذا متحقق صحيح) وملك داقيس من سنة ٢٤٩ ب م الى سنة ٢٥١ ب م ومر فى بعض حروبه بمدينة افسس وأمر أهلها أن يسجدوا للاصنام فأبى عليه ذلك سبعة فتية فلاطفهم وتملق لهم وقال لهم سأمهلكم الى رجوعى من الحرب وخرج من المدينة لغزوته وخاف الفتية من هذا الجبار وآووا

(١) قال الاستاذ وهذا غريب . ابتدأ ملك الرومان برومملس وانسع هذا الملك باغسطس وانقرض برومملس اغسطلس

الى غار في جبل وقدوا ولما رجع داقيس سأل عنهم فخبر بهرو بهم الى الجبل ممتنعين من عبادة الاصنام فأمر أن يردم باب الكهف عليهم ليموتوا جوعا ورأى ذلك بعض من حضر هناك من المؤمنين بالمسيح وكتب خبرهم في لوح من نحاس وجعل اللوح عند الباب من داخله ثم مات داقيس ومن بعده من ملوك الطبقة الاولى وتقلد قسطنطينس الملك وتنصر وتوالى الملوك الى الملك تادسيوس وكان مدة ملكه من سنة ٣٧٩ الى سنة ٣٩٥ ب م

٢٦

جزئيات المحاضرة

تتمة قصة أصحاب الكهف قصة أيملك تلميذ أرمياء النبي . أصل هذه القصص. ذكر اللغات الحامية أى البربرى والمصرى القديم والحديث واللغات الكوشيه أى بجة وسوهو ودنقلي وآغو وغالا وصومالى

***

ذكرنا الملك تادسيوس وهو تادسيوس الاكبر ومن سنة ٤٠٨ الى سنة ٤٥٠ ملك تادسيوس الاصغر الثانى وفي أيامه ألقى الله في نفس رجل من أهل البلد الذى فيه جبل الكهف أن يبنى حظيرة لغنمه وهدم بالعناية الربانية الحجارة السادة لباب الكهف فدخلت أشعة الشمس فيه واستيقظ الفتية بأمر الله وهم لايرون في ألوانهم ووجوههم شيئاً ينكرونه فخيل اليهم انهم لم يناموا الا ليلة واحدة وكان أحدهم اسمه يمليخا (١) وهو صاحب نفقاتهم ونزل الى المدينة في الثياب التى كان يتنكر فيها(خوفامن داقيس) ليشترى طعاما وهو متخوف من داقيس ظنا منه أن يطالبه ولما وصل الى باب المدينة رفع بصره فرأى فوقه علامة دين النصارى أى الصليب فتعجب من ذلك وسمع الناس يحلفون باسم المسيح ورأى المدينة قد تغيرت فازداد تعجباً وتحيرا وقال فى نفسه الرأى أن أشترى طعاما وابادر بالرجوع الى أصحابي في الكهف وطلب خبزا ودفع للخباز مسكوكات وهى بنقش داقيس الملك المتوفي قبل مائتى سنة تقريباً فتأملها الخباز ولم يشك في أن

---

(١) قال الاستاذ . يمليخا اسم مستعمل عند السريان واليونان ومثله كثير عند العرب مثل يملك . والسريان تبدل الكاف خاء فالعرب تقول يملك والسريان تقول يملخ

الفتى أصاب كنزا من كنوز القدماء الثمينة وقال له أرني مكان الكنز ولا تخفه مني والا انطلقت بك الى رئيس المدينة فملىء الفتى رعبا وقال له هذى النقود أخذتها بالامس من بيت أبي ولم أجدها في كنز البتة . وجعلا يتشاكسان و يتنازعان حتى اجتمع أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم وانطلقوا بيمليخا الى رئيس المدينة واسقفها وقص يمليخا عليهما قصته فصعدوا بأجمعهم الى الكهف في الجبل فرأوا الفتية وأيقنوا من أن هذا العجب العجاب هو آية من آيات الله الذي يحيي و يميت ونام بعدئذ الفتية وقضوا نحبهم ولاقواربهم فبني الناس بيعة في هذا المكان

هـذا هو نص القصة السريانية الاصليـة بالاختصار . ومن السريان شاعت واستفاضت ثم زيد فيها في بعض الكتب ونقص منها فى أخرى

وهناك قصة تشبه قصة أهل الكهف موجودة في بعض كتب اليهود من الجيل الاول بعد الميلاد لافي التوراة بل بعدها. وهذه القصة تناسب الآية في سورة البقرة : أو كالذى مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحي هـذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير :

ولا بأس من ذكر هـذه القصة على الاجمال وهى : ان أرمياء النبي كان له تلميذ حبشي يخدمه اسمه أيملك ولما أوشك أن يتسلط بختنصر على بيت المقدس أرسله أرمياء ليقتطف تينا للفقراء الجياع فاقتطفها وعند رجوعه رأى شجرة جثيلة وكان اليوم قائظا محتدما فجلس في ظل هذه الشجرة وضرب الله على أذنيه فنام ستين سنة وفي أثناء ذلك سلط الله بختنصر على بيت المقدس فأمعن في القتل والاسر في بني اسرائيل وسبى منهم خلقا كثيرا حمله الى بابل وتبعه ارمياء هناك واستيقظ أيملك بعد ستين سنة بأمر الله ونظر الى التين وهو طري رطب بقدرة الله تعالى . وكان ذلك في أول فصل الربيع ولم يكن من أوان التين فى شيء . فقال ايملك رأسي مصدوع من قلة النوم ولولا أرمياء الذى يترقبني لنمت قليلا ثم قام وأخذ قفة التين ولما وصل الى المدينة لم يعرفها وأنكر كل مارأى منها فمسح عينيه وحار في أمره . ثم رأى شيخا احدودب من الكبر فسأله ما اسم

مدينتكم هذه فقال اورشليم (اى القدس) قال ابيملك وأين أرمياء النبى فتفرس فيه الشيخ وقال له ياأحمق تسأل عن أرمياء وله ستون سنة في بابل مع سبي اليهود وأجابه أبيملك قائلا : كيف ذلك وقد أرسلني ارمياء في صبح يومنا هذا لاجتناء بعض التين : وأراه التين طريا فى غير أوانه فتبصر الشيخ وعرف أن هذه آية من آيات الله فكتب باروك الى أرمياء النبي وكان من تلاميذه رسالة على لسان ابيملك وقص فيها عليه قصته العجيبة المدهشة.

والغرض من مثل هذه القصص أن يبرهن على أن القيامة حق وأن الله يبعث الاموات وينشرها فانه على كل شيء قدير. واتفق في ذلك اعتقاد اليهود والنصارى مع اعتقاد أهل الاسلام

الى هنا تمت القصة وبهذا فرغنا من التاريخ والاخبار وسنبتدىء فى أدب اللغات ان شاء الله فنقول

قد تقدم القول فى الامم الهند جرمانية الممتدة من الهند الى أقصى شمال اوروبا ونتبعه الآن بالقول على اللغات السامية وتقدم فصلا في ذكر اللغات الحامية على طريقة الاجمال

تنقسم اللغات الحامية ثلاثة أقسام الاول لسان البربر والثاني اللسان المصري والثالث الالسنة الكوشيه . والبربر قبائل لاتحصى في شمال افريقيه من برقه (بلد من أشهر بلدان طرابلس) الى طرابلس وتونس والجزائر ومراكش (المغرب الاقصى) الى البحر المحيط والى سنغال ومنهم كذلك واحة سيوا في غربى مصر . وقد سبق ذكر البربر ومثالبهم وما قيل فيهم وسماهم ياقوت أجفى خلق الله . والعدد الجم منهم في الجزائر ومراكش . وبين لغاتهم واللغات السامية اختلاف فى أمور وائتلاف في أخرى والكلمات الدخيلة فيها كثيرة وأكثرها من العربية لاسيما مايتعلق بالصنائع وأصحابها كبناء ونجار وهلم جرا . وهذا دليل على ان الصنائع ما كانت من اختراعهم ومن حذقهم وانما أخذوها عن العرب وتعلموها منهم . ولا نعرف من تآليف في هذا اللسان أى لسان البربر الا حكايات وأمثالا جمعها علماء عصرنا وقد ترجم بعض البربر فى سنة ١٢٧ ه القرآن الى لغتهم وأخرجت كذلك كتب الحديث والفقه من العربي الى البربرى فى أيام الموحدين المتسلطين علي المغرب والاندلس من سنة ٥٢٤ ه الى سنة ٦٦٧ ه وكره منهم ذلك النقل القانتون ذوو الغيرة على الدين فأفنوا كتبهم هذه وأبادوها ولم يحللوا لهم درس الحديث والفقه بغير اللغة العربية

أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب

﴿ ٢٧ ﴾

(جزئيات المحاضرة)

تتمة القول في اللغات الحامية أي المصري القديم والحديث واللغات الكوشية اللغات السامية وأقسامها الكبار وهى لغة بابل واشور. لغة كنعان دارم لغات العرب والحبش وفروع لغة كنعان أى العبرانى والفينيقي

***

وأما اللسان المصري فالقديم منه هو المتكلم به في أيام الفراعنة والحديث يقال له القبطي. وأصل هذا اللفظ من اللغة اليونانية فانه فيها (اجبتس) والنسبة اليه (جبتيوس) وعرب اجبتوس فصار قبطياً. والاختلاف بين اللسان المصرى القديم و بين اللغات السامية كالعبراني والعربي أقل من الاختلاف بين هذه اللغات السامية والبربر حتي ذهب قوم ممن لهم دراية كاملة بهذه المسائل الى أن اللسان المصرى يشبه اللغات السامية و يوافق حالها القديمة

وأما المصرى الحديث أى القبطي فهو متولد من القديم وهى لغة القبط من القرن الاول تقريبا الى القرن السادس عشر بعد الميلاد و بعض الكلمات العربية أصله من القبطي كالتمساح مثلا فان أصله من القبطي وكالاردب وكالواحه. بخلاف البربر فان فيه كلمات عربية وليس في العربية كلمات منه.

والكتب التي وضعها القبط كثيرة جليلة وأول ما نجده مسطورا باللغة القبطية بعض سطور وكلمات مكتوبة على ورق البردى وهى من القرن الثاني بعد الميلاد وقليلة وفي أواخر القرن الثالث تقريباً نقلت كتب النصارى المقدسة كالانجيل والتوراة

من اليوناني الى القبطي وكذلك أكثر الكتب القبطية منقول من اليونانية ومدارها فيما يخص الامور الدينية والصلوات والخطب وأخبار الشهداء ومايشبه ذلك.والدنيوى قليل ومنه أخبار الاسكندر وهي أجزاء قليلة من تاريخه .

وأما اللسان الكوشي وهو القسم الثالث من اللغات الحامية فيشتمل على عدة لغات منها لغة بجة في جنوب النوبة . وسوهو وهي لغة القبائل التي في جنوب مصوع على البحر الاحمر تحت حكم دولة ايتاليا . ثم دنقلي ويقال له عفر والجمع دناقل والدناقل سكناهم على ساحل البحر الاحمر والنواحي القريبة منه من جنوب مصوع الى باب المندب والبحر الهندي . ثم لغة آغوْ أو آجوْ والاول أصح والآغوْ من أقدم قاطني بلاد الحبش وتشبه لغاتهم لغة الفلشا والفلشا اسم أمة قديمة على دين اليهودية . ومن الامم الكوشية الغالاّ او الجالاّ وهم اوسع الكوشيين عددا يقال انهم تسعة آلاف الف رجل أو اكثر وكانوا يقطنون جنوب بلاد الحبش ثم خرجوا من بلادهم ودخلوا بلاد الحبش في اوائل القرن العاشر للهجرة وهم يدينون بعبادة الاوثان وكان الههم الاكبر يسمى وَكْ ومعناه السماء ثم اسلم بعضهم ولم يتنصر منهم الا القليل . ومن الامم الكوشية الصومال وسكناهم من باب المندب وخليج عدن الى الجنوب وهم الفا ألف رجل حدسا (تخمينا) . هذه هي اجل الامم الكوشية أي بجه . وسوهو ودنقلي وآغو . والغالاّ . والصومال :

ولا نكاد نرى من الامم الكوشية من يميل الى التأدب ويجنح الى التعلم وليست لهم حروف هجاء فلا يقرؤن ولا يكتبون . ومن احتاج منهم الى تحرير مكتوب حرره بالعربي وبأحرف عربية (نعوذ بالله من عربيتهم ومن قلمهم)

والامم الحامية مجاورة للساميين والارجح أن هناك تناسباً بين لغاتهم واللغات السامية ولاجل ذلك قدمنا فصلاً في ذكرهم .

وأما الساميون فانتماؤهم الى سام بن نوح كما هو معروف وهم على قسمين أكبرين أي الشرقي والغربي ولكل منهما أنواع وفروع سيأتي ذكرها . والقسم الشرقي يشمل لغة أهل بابل ولغة أهل أثور أي أشور وكانت السلطة قبلاً لأهل بابل

وملكتهم من أقدم ممالك العالم وقصبتهم بابل وهي مدينة مشهورة على الفرات وذكر علماء العرب حكايات غريبة تخص هذا البلد منها . أن فيه سبعة مدن في كل مدينة اعجوبة ليست في الاخرى ومثل هذه الحكايات البعيدة عن المعهود كثير في أخبار الامم القديمة كما تقدم .

ثم استظهر أهل أشور على بابل من القرن الرابع عشر قبل الميلاد الى أواخر القرن السابع وكانت قصبتهم نينوى على دجلة قريباً من الموصل ثم قوي الكلدانيون (سكان بابل) وظفروا بمدينة نينوى وأخربوها وذلك في سنة ٦٠٦ ق م وآل الملك الى بابل مرةً ثانيةً

ومن ملوك الطبقة الثانية بختنصر الذي استولى على بيت المقدس وسبى أمة اليهود الى بابل وكان الملك لهم (أي للكلدانيين) الى أن تغلب عليهم الفرس

ولاهل بابل وأشور خط غريب يخالف قلم سائر الامم السامية

٢٨

(جزئيات المحاضرة)

الكتابة الاثورية وكيفيتها ، اللغات السامية الغربية وقسماها الشمالي والجنوبي ، حروف الهجاء الاصلية والتغييرات اللاحقة لهذه الحروف في المشرق وفي المغرب ،،،

قسمنا في المحاضرة السابعة والعشرين أهل اللغات السامية الى قسمين أكبرين شرقي وهم أهل أثور وغربي وسيأتي تفصيله

أما أهل القسم الشرقي وهم أهل بابل وأشور فان لهم خطا عجيباً يخالف خطوط

حدث خطأ في المحاضرة الثامنة عشر من الادبيات في صفحة ٤٦ في السطر العاشر

خطأ	صواب
جرجس	جيرجيس المكين
وفي السطر الحادي عشر	
بطس بن الرهب	بطرس الراهب

سائر الامم السامية وكانوا في أول أمرهم اذا أرادوا رقم اسم شيء من الاشياء صوّروا صورة ذلك الشيء من غير أحرف فانهم ما كانوا يعرفونها . ومن ذلك تولدت مع الزمان علامات تستعمل كالحروف غير أن كل علامة من علاماتهم إذ ذاك كانت تشمل الحرف وحركة من حركاته ومع هذه العلامات الهجائية لم تزل العلامات التصويرية مألوفة مستعملة والعلامة الواحدة تدل على معناها الهجائي وعلى معناها التصويري وعلى القاريء أن يميز بين الامرين

هذا ما يخص الكتابة الأثورية وأما لغتهم فلا شك في أنها قريبة من سائر اللغات السامية في الافعال والاسماء والحروف فانهم يقولون مثلاً للأُذن أذن (بتسكين الذال) وللعين عينو وللسماء سماوٌ وهذه أسماء الأعداد عندهم تكاد تقرب من أسمائها العربية كذلك وهي (١) إيدُ (٢) شناء (٣) شلاش (٤) أربعا (٥) خمسُ (٦) شيش (٧) سب (٨) ثمان (٩) تيش

وأما القسم الثاني من قسمي اللغات السامية الأكبرين وهو الغربي فهو إما شمالي وإما جنوبي فاما الشمالي منهما فينقسم الى قسمين كبيرين أحدهما الكنعاني ويشمل العبراني والفينيقي وغيرهما . والآخر الآرمي ويشمل لغات عديدة سيأتي تفصيلها

وأما الجنوبي فهو نوعان النوع الاول العربية المعهودة أي لغة القبائل التي سكنت النواحي الشمالية من جزيرة العرب والنوع الثاني عربية القبائل الجنوبية كسبأ وحمير ويشبه هذا النوع لغة الحبشة القديمة

والنوع الاول أي العربية المعهودة (أي لغة قبائل شمال الجزيرة) جنوبي بالنسبة الى القسم الشمالي الكبير من اللغات السامية الغربية أي الكنعاني والفينيقي . وشمالي بالنسبة الى النوع الثاني من نوعي اللغات الجنوبية أي قبائل سبأ وحمير والحبش

وقد يسمى النوع الاول لسان العرب المستعربة وقد يسمى النوع الثاني لسان العرب العاربة . وقد عدلنا عن التسمية المتعلقة بالنسب الى التسمية الجغرافية أعني المتعلقة بالاصقاع شمالية أو جنوبية لانها أقرب الى الصحة فان القبائل قد تغير لغاتها وتدخل في لغة لم تكن أصلية لها ومثال ذلك قبيلة طيء المشهورة التي هي من بني

قحطان ثم استعربت فصارت لغاتهم توافق لغة مضر إلا بقايا يسيرة كذو بمعنى الذي أي ذو الطائية

وأما لغة الحبش فتشبه لغة سبأ وحمير لان بعض القبائل اليمنوية عبرت البحر واستوطنت بلاد الحبش وتغلبت على سكان البلاد وهم أمة آغو الكوشية التي تقدم ذكرها فان ساحل اليمن قريب من بلاد الحبش ولذلك تشابهت لغاتهم

هذه هي تقاسيم اللغات السامية الغربية وتكتب جميعها بأحرف الهجاء فليست مثل لغة أثور التي تكتب بالصور. ولأحرف هذه اللغات صور كثيرة تختلف باختلاف اللغات غير أن مرجعها كلها الى أصل واحد أي الى الصورة الفينيقية

وكانت الصورة الفينيقية مستعملة عند العبرانيين كذلك ومن هذه الاحرف الفينيقية القديمة اشتقت أحرف اليونان والرومان وسائر أمم أوروبا فأصل الحروف كلها من الاحرف الفينيقية

ولا غرو أن تكون بداية الكتابة من الفينيقيين فانهم تعاطوا التجارة ولم يشتغلوا الا بها ولهم المدن البحرية في المشرق والمغرب كما تقدم القول ولا بد لأصحاب التجارة من المكاتبة والمراسلة مع شركائهم في الأصقاع الشاسعة كما لا يخفى فاضطر الفينيقيون الى استعمال أحرف الهجاء والى الانتفاع بها فانتشرت بانتشارهم في المشرق والمغرب وأخذعنهم الآراميون أحرف الهجاء وغيروا رسم صورها قليلا واستعاضوا القلم الآرمي في الشام ونواحيها واتخذوا هذه الاحرف العبرانيون المتأخرون وألفوا منها القلم المستعمل الى الآن في كتب اليهود ومنه كذلك قلم النبط وقلم العرب القديم

ولا سبيل الى استقصاء البحث عن هذه المسائل وانما نقتصر على لمحة منها باعتبار بعض الحروف وتغيير صورها ونمثل لذلك بحرف العين كانت صورتها القديمة عند الفينيقيين كما ترى في شكل (١) على شبه عين الانسان والحيوان واسمها مشتق من صورتها ثم استعارها الآرميون وغيروها قليلا بقطع أعلاها فصارت هكذا شكل(١) ثم أخذها الانباط وصارت عندهم هكذا ع ثم دخلت اللغة العربية فصارت ع ومن خصائص بعض الاحرف في القلم النبطي وغيره ان تسطر متصلة مع ما قبلها أو مع

ما بعدها وذلك لتسهيل الكتابة وللاسراع فيها . فبناء على ذلك تتصل العين مع ما قبلها فتصير ـعـ فاذاً التغييرات اللاحقة لهذا الحرف كثيرة

(١)	ع
(٢)	س
(٣)	م
(٤)	ن
(٥)	ق
(٦)	ب
(٧)	ر
(٨)	ه

﴿ ٢٩ ﴾

(جزئيات المحاضرة)

التغيير اللاحق لبعض حروف الهجاء أي للسين والميم والقاف والباء والراء والهاء ، ذكر لغة العبرانيين القديمة ولمحة في أخبارهم وأخبار لغتهم قبل العبودية في بابل وبعدها

ومثل العين حرف السين أو الشين كانت صورتها الاولى هكذا شكل (٢) وسميت رشن لشبهها بالاسنان وغيرها قليلاً الاوربيون لتسهل الكتابة فصارت هكذا S ثم أخذها الانباط فصارت عندهم هكذا شكل (٢) ثم أخذها العرب فصارت س والنتيجة أن السين العربية توافق حرف الافرنكي S في النطق

ومثل ذلك حرف الميم أصله هكذا شكل (٣) عند الفينيقيين والعبرانيين ومنه صورة إم عند اليونان والرومان أخذوها وغيروها ليزيد حسنها فصارت هكذا M ولا يتجاوز الحرف من فوق ومن تحت دعتهم الى ذلك رغبتهم في حسن موافقة الاجزاء وأخذ الميم الارميون واختصروها هكذا شكل (٣) وعند الانباط اخوتهم هكذا شكل (٣) ثم عند العرب هكذا مـ

وأما النون فصورتها الاصلية هكذا شكل (٤) واتخذها اليونان والرومان فصارت عندهم هكذا N وعند الارميين هكذا شكل (٤) ثم صار عند الانباط هكذا شكل (٤) ومنهم أخذ العرب حرفهم ن

وفي القرن الاول من الهجرة كانت تستعمل كذلك ر ويوجد فى الصحف بالكتبخانة كتابة الرحمن هكذا الرحمر

وسمى نونا لشبهه السمك والميم لشبهه الماء ومن هذا القبيل أيضاً حرف القاف وصورتها الاصلية هكذا شكل (٥) ثم غيرت لتسهيل الكتابة فصارت شكل (٥) وعند النبط صارت هكذا شكل (٥) وعند العرب ق. ثم في القرن الثاني حدساً وضعت بنقطة من فوق ثم أخرى. فيجوز أن تقول ان القلم الارمي تسهيل الكتابة والقلم العربي تسهيل التسهيل. وحرف الباء كانت صورته الاصلية شكل (٦)

وكانت الكتابة الاصلية عند قدماء اليونان من اليمين الى الشمال ثم لم يصلوا آخر السطر ويكتبون من الشمال الى اليمين

وهذه الصورة اختصرها الارميون على دأبهم فصارت شكل (٦) وعند الانباط هكذا شكل (٦) وعند العرب فتشبه النون

وحرف الراء قديماً هكذا شكل (٧) يشبه التاء لكنه أطول وعند العبرانيين والارميين شكل (٧) ثم الانباط شكل (٧) اختصروها فصارت ر ثم العرب ر

وحرف الهاء كانت صورته الاصلية شكل (٨) ثم تميزت عند الارميين والعبرانيين المتأخرين فصارت شكل (٨) ثم أخذها العرب والانباط فرسموها هكذا شكل (٨)

ونعود الآن الى أنواع القسم الشمالي من الساميين ونبتدىء بالعبراني ونقول ان أمة العبرانيين قديمة جليلة لها صيت وشهرة في العالم كله وكان من انتقالهم الى مصر وخروجهم منها وقيادة موسى لهم ما هو معروف ولا طائل في اعادته هنا وكان الأمر والنهي برهة من الزمان لرؤساء يقال لهم القضاة أي الحكام ثم ملك شأول في سنة ١٠٣٠ ق م وشأول هو الذي يقال له عند العرب طالوت ومات شأول سنة ١٠١٠ ق م تقريباً ثم ملك بعده داود الى سنة ٩٧٠ ق م وخلفه سليمان ابنه الى سنة ٩٣٣ ق م تقريباً وأخبار سليمان مثل أخبار الاسكندر بن فيلبس أي انها على ضربين أحدهما الاخبار الصحيحة المتحققة . والآخر الاخبار المستغربة الخارقة للعادة وهي كثيرة في كتب السريان والعرب وانقسمت بعد موته المملكة الى مملكتين : المملكه الشمالية والمملكة الجنوبية وهذا في سنة ٩٣٣ ق م في سنة موت سليمان وكان زوال المملكة الشمالية في سنة ٧٢٢ ق. م تغلب عليها ملك أشور وسبى أهلها وكان زوال المملكة الجنوبية أي مملكة يهوداء في سنة ٥٨٦ ق م على يد بختنصر ملك الكلدانيين الذي افتتح القدس وأخربها وهدم بيت الله الذي بناه سليمان وأوقع باهل المدينة وأجلاهم الى بابل وهذا هو الجلاء أي عبودية اليهود في بابل . وكان بختنصر ملك الكلدانيين من ملوك الطبقة الثانية

﴿ ٣٠ ﴾

(جزئيات المحاضرة)

سياق الكلام في أخبار اليهود وتاريخ هذه الاخبار، لغة اليهود واختلافها باختلاف الازمنة والبلاد، ذكر من كان من شعراء اليهود في جزيرة العرب كالسموءل بن عدياء وشريح بن عمران وغيرهما

وفي سنة ٥٣٩ تغلب ملك الفرس واسمه كيروس على الكلدانيين وافتتح مدينة بابل وأعتق اليهود فرجع منهم من رجع الى فلسطين وعمر بيت الله عمارته الثانية ولم

تزل اليهود تحت طاعة الفرس الى أن انتصر الاسكندر على دارا الاصغر في اسوس سنة ٣٣٣ كما سبق القول وصار الاسكندر ملك فلسطين وخلفه في ملكها من ورث مملكته وخصوصاً ملوك الشام من آل انتيخوس وأحدهم اسمه انتيخوس ابيفانس وهو عات غشوم ملك من سنة ١٧٤ الى سنة ١٦٤ وجافى اليهود على دينهم لامتناعهم من السجود للأصنام فعصى عليــه اليهود وتخلصوا من جوره وطغيانه ثم دخلوا تحت حكم الرومان وزالت دولتهم وانقرضت مدينتهم على يد تيتوس ملك الرومان في سنة ٧٠ بعد الميلاد وكان اليهود قد أجلوا قبل ذلك الى مصر والى سائر النواحي و بعد خراب مدينتهم تفرقوا أيدي سبا وتشتتوا في البلاد القريبة والبعيدة وكان لسان العبرانيين من أول أمرهم الى الجلاء في بابل والى رجوع من رجع منهم الى القدس اللسان العبراني لا غير ثم شاعت عندهم اللغة الارمية ولم يزل يزداد استعمالها عندهم حتى صارت هي لغة اليهود المأنوسة في زمن يسوع (أي عيسى) الا ما يختص بفرائض الدين والصلوات فان لغة الصلوات عند اليهود هي العبرانية الى يومنا هذا واسم عيسى الاصلي عند النصارى هو يسوع أو يشوع وصار عند العرب عيسى ليوافق اسم موسى وهذا كثير في لغاتهم كقولهم لابني آدم هابيل وقابيل وهما في التوراة هابل وقين ولما تفرق اليهود كانت لغة كل منهم توافق لغة البلد الذي هم فيه فمن بقي منهم في فلسطين والشام والعراق تكلم بالارمية ومن انتقل الى مصر والى بلاد اليونان تكلم باليونانية ومن كان منهم في جزيرة العرب تكلم بالعربي وكانت لغتهم العربية فصيحة رشيقة

ومن مشاهيرهم السموءل بن عادياء وبه يضرب المثــل في الوفاء . كان السموءل صاحب قصر منيع مشرف على مدينة تيماء بين الحجاز والشام يقال له الابلق الفرد ومن قصته أن امرأ القيس بن حجر أودعه بنيه وماله وأدرعه الخمس فطالبه إياها حارث بن ظالم فأبى فقبض الحارث على ابنه وكان قد خرج للصيد وهدد السموءل بقتل ابنه فقال السموءل شأنك به فلست أخفر ذمتي ولا أسلم مال جار وقال

وفيت بأدرع الكندي اني . اذا ما خان أقوام وفيت

والسموءل هذا هو القائل

ينفع الطيب القليل من الرز ق ولا ينفع الكثير الخبيث

ومن اليهود أيضاً شريح بن عمران وهو القائل

آخ الكرام اذا وجد ت الى اخائهم سبيلا
واشرب بكأسهم وان تشرب به السم الثميلا

ومن اليهود أيضاً شعبة بن حريض بن السموءل وهو القائل

لباب يا أخت بني مالك لاتشتري العاجل بالآجل

ومنهم أيضاً اوس من بني قريظة ومن قصته أن امرأته أسلمت ودعته الى الاسلام فأبى مع أنه يسلم بفضل الاسلام وقال

دعتني الى الاسلام يوم لقيتها فقلت لها لا بل تعالي تهودي
فنحن على توراة موسى ودينه ونعم لعمري الدين دين محمد
كلانا يرى أن الرشادة دينه ومن يهد أبواب المراشد يرشد

وهذه الابيات من العربية الخالصة لا تخل كلمة منها بالفصاحة ويؤيد ذلك ما قلناه من أن العبرانيين بعد تفرقهم اتخذوا لغة البلد الذي استوطنوه ثم كان ظهور الاسلام وانتشرت اللغة العربية في المشرق وفي مصر وفي افريقية وفي جزيرة الاندلس فأصبحت هي لغة اليهود في هذه البلاد كلها ومن مشاهير علمائهم سعديا ولد في الفيوم ومات سنة ٣٣٠ وهو الذي ترجم كتب اليهود المقدسة من العبراني الى العربي ومنهم اسحق ابن سليمان الاسرائيلي المتوفى سنة ٣٢٠ هـ برع في علم الطب وألف كتاب الحميات وغيره ومن أطبائهم أبو الفضل داود الاسرائيلي المتوفى سنة ٦٣٤ وآخرون ومن شعرائهم ابراهيم بن سهل الاسرائيلي المتوفى سنة ٦٥٨ وديوانه مطبوع هنا في مصر وهؤلاء كلهم كانت لغتهم العربية وان لم تكن فصيحة مثل لغة السموءل وشريح وأما لغة العبرانيين فهي تشبه العربيـة وقد تخالفها في أمور كعدم التثنية في الفعل وغير ذلك ·

٣١

(جزئيات المحاضرة)

سياق الكلام على اللغة العبرانية ومشابهتها للعربية وكتب اليهود القديمة أي التوراة وسائر الكتب المقدسة . الكتب المتأخرة أي التلمود وما يجانسه ، ملل اليهود في الاجيال المتوسطة ، مضمون كل واحد من اسفار التوراة وسائر الكتب المقدسة

***

الاسم في اللغة العبرانية إما مذكر وإما مؤنث والجمع لا يكون الا سالماً والهاء آلة التعريف عندهم ثم كل ما كان بالشين في العربى يكون بالسين في العبرانى وبالعكس وكذلك كل ما كان بالعربي (اَ) يكون في العبرانى (وُ) مثلاً سلام يكون شلوم وكذلك الثاء في العربى هو بالعبرانى بالشين أيضاً مثلاً ثور بالعبرانى شور واسم الفاعل العربى لا بدَّ أن يكون في العبرانى فوعل

ومثال ذلك كلمة كاهن في العبرانى كوهن قال أبو الفداء في المختصر أصل الكاهن في لغتهم كوهن

وكذلك ما كان في العربى بالضاد ففي العبراني بالصاد فالارض في العبراني أرص كذلك ورث في العبراني ورش يرش

وهاك ثلاث كلمات من الزبور « صديقين يرشون أرص » أي الصديقون يرثون الارض فيعلم من ذلك أن اللغة العبرانية تشابه اللغة العربية كثيراً

وكتب اليهود على صنفين الاول ما ألهم به الله في اعتقادهم وفي اعتقاد النصارى وغيرهم لموسى وللأنبياء الذين بعده ويقال لها الكتاب المقدس أو مِقرا وأصل الكلمة من قرأ ومعناها قرأ (مقرا) أي ما يجب قراءته

والصنف الثاني الشريعة الشفهية أي ما ندب اليه موسى قولاً لا كتابة وتنوقل عنه بالروايات اللسانية مما لم تنطق به التوراة وهو أي الصنف الثاني يحتوي على سنن ونصائح ايضاحاً لما جاء في التوراة ويقال لذلك الكتاب التلمود أي التلمذة والتعليم

وهو اي التلمود على قسمين قسم يتضمن الفرائض الدينية وهو بالعبرانية وقسم يتضمن مباحثة فقهائهم أي الربانيين في هذه الفرائض وهو باللغة الأرمية وهذا يوافق ما قلنا من أن العبرانيين في زمنهم الاخير كانوا يتكلمون بالارمية لا بالعبرية

وكل يهودي يقبل المقرا أي الكتاب المقدس ويعتقد أنه كلام الله المنزل وأما التلمود فمنهم من يقبله ويقال لهم الربانيون. ومنهم من لايقبله ويقال لهم القراءون سموا بذلك لان مرجع مذهبهم الى المقرا دون غيره

ومن يهود مصر ربانيون وقراءون وأول من أبدع مذهب القرائين في اليهودية عنان بن داود وهو في أيام المنصور. وقال أبو الفداء عن الشهرستاني أن الربانيين مثل المعتزلة في الاسلام وليس بمصيب

وكان المقرا في العبرانية كما تقدم ثم نقل الى سائر اللغات وأقدم التراجم الترجمة اليونانية حكي أن بطلميوس الثاني ملك مصر طلب من اليهود أن يرسلوا اليه عدة علماء لنقل الكتاب المقدس الى اليونانية فأرسلوا اليه اثنين وسبعين حبرًا ستاً من كل سبط من أسباط اليهود الاثني عشر وأحسن بطلميوس ضيافتهم وأسكنهم مثنى في مقصورات منفصلين وكل اثنين نقلا نسخة فصارت النسخ ستاً وثلاثين وقابل بعضها ببعض فلم يجد فيها اختلافا يعبأ به. وهذا من الحكايات الغريبة يقبلها قوم ويردها آخرون ولا شك في كون كتاب اليهود منقولا الى اليونانية على يد من كان في مصر من اليهود. ثم نقل هذا الاستخراج اليوناني الى اللاتيني ومنه الى سائر اللغات وترجم المقرا أيضاً الى اللغات الارمية كالسريانية مثلا وخصوصاً الى الارمية المأنوسة عند اليهود في فلسطين لما احتاج يهود فلسطين الى استخراج الكتاب المقدس الى لغتهم الارمية كما احتاج يهود مصر الى نقلها الى لغتهم اليونانية وأول المقرا التوراة وتوراة كلمة عبرانية أي تورا ومعناها الارشاد أو الهدى والتوراة على خمسة أسفار لكل سفر منها اسم في الترجمة اليونانية ليس في الاصل العبراني

السفر الاول يقال له التكوين أي الخلق وفيه ذكر خلق العالم واخبار آدم وحواء وأولاد آدم ثم أخبار نوح وأمر الطوفان وتبلبل الالسن ثم ذكر ابراهيم خليل الله

واسحاق وابنيه التومين أي يعقوب وعيسو وقصة يوسف من أولها الى آخرها وهي طويلة في التوراة وهي من أحسن القصص

والسفر الثاني يسمى الخروج (سمي لأجل خروج اليهود من مصر) وفيه ولادة موسى و بعثته الى بني اسرائيل وشأن فرعون وخروج بني اسرائيل من مصر وصعود موسى الجبل وإيتاء الله له الالواح أي عشر كلمات وغير ذلك

والسفر الثالث ويسمى سفر اللاويين (أي الاحبار) فيه الشريعة في أمر القربان وفي الطهارة وفيما يجوز أكله وغير ذلك من الفرائض والحدود

والسفر الرابع يسمى العدد بعضه في الشرائع و بعضه في اخبار موسى و بني اسرائيل في التيه . ومن ذلك أيضاً شأن البقرة المعروف أمرها

والسفر الخامس يسمى التثنية (أي اعادة الناموس)

و يتلو التوراة سفر يوشع بن نون وهو في استيلاء بني اسرائيل على فلسطين . ثم سفر القضاة أي الحكام . ثم أربعة أسفار الملوك

السفر الاول في أخبار شمويل (في العربى سمويل) وشأول (في العربى طالوت) وشأول أصله في العبرانى من فعل شأل أي سأل ومعناه سؤول من الله تعالى

والسفر الثانى من سفر الملوك في ذكر داوود

والثالث والرابع في سليمان بن داوود وفيمن ملك بعده على بني اسرائيل من انقسام المملكة الى زوالها

وأغلب هذه الاسفار التي ذكرناها هي في أخبار بني اسرائيل وفي شريعتهم ويليها أسفار الانبياء . اثنا عشر من هذه الاسفار وجيزة ويقال لأصحابها الانبياء الاصغرون. وأربعة طويلة ويقال لأصحابها الانبياء الاكبرون وهم شعياء. أرمياء. حزقيال ودنيال . ومات شعياء فى أوائل القرن السابع قبل الميلاد ومات أرمياء بعد شعياء بمائة سنة ونيف ومات بعده حزقيال في القرن السادس . ودانيال المنسوب له السفر الرابع هو في أيام بختنصر و بعد رجوع اليهود من الجلاء في بابل اشتهر عزرا أي عزير في القرن الخامس قبل المسيح

﴿ ٣٢ ﴾

(جزئيات المحاضرة)

تتمة الكلام في كتب اليهود المقدسة ، لغة تآليف اليهود الفلسفية والطبية في الاجيال المتوسطة ، لغة بني موأب بن لوط والكتابة القديمة التي وضعها ملكهم ميشع في القرن التاسع قبل الميلاد ، لغة الفينيقيين وكتاباتهم ، اللغات الارمية

***

باقي أسفار اليهود المقدسة بعضها في أخبارهم و بعضها في الحكم والنصائح و بعضها في الأناشيد والتسابيح ومن هذا الضرب سفر المزامير (الزبور)

والمزامير في الزبور مائة وخمسون نسب أغلبها الى داود النبي هذه هي الكتب المنزلة عند العبرانيين أي الكتب التي ذكرناها

وقد ذكرنا قبلا كتاب التلمود وأمر تفرق اليهود واتخاذ كل منهم لغة بلده وكان ذلك الى القرن العاشر بعد الميلاد تقريباً ثم رجعوا الي تأليف كثير من كتبهم بالعبرانية ولعاً بلغتهم القديمة ولهم في أيامنا هذه جرائد محررة بالعبراني ولغة هذه الجرائد تبعد عن لغة التوراة فانها تتكلم عن هذا العصر أما التوراة فتتكلم عن القديم وفي الاجيال المتوسطة برع اليهود في الفلسفة وفي الطب واستخرجوا الكتب العربية (كابن سينا وغيره) الى العبراني ومن العبراني الى اللاتيني وبواسطتهم انتشرت في المغرب واستفاضت تآليف أبي علي بن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ ﻫ ويقال لابن سينا في أوروبا (بيسن) ثم كتاب احمد بن يحيى المعروف بابن باجه المتوفي سنة ٥٣٣ ﻫ ويقال له في أوروبا (أوَمباشه) وكان فيلسوفا عالي الهمة وهو الذي مهد السبيل لابن رشد وابن رشد توفى سنة ٥٩٥ ﻫ ويقال له عندنا (اويرويه) وكان لابن رشد مجادلة مع الغزالي كما هو معروف وله كتاب تهافت الفلاسفة وللغزالي تهافت التهافت وترجم الى العبرانية ثم الى اللاتيني هذا هو أمر لغة اليهود

قد قلنا أن العبرانية من لغات كنعان ومن اللغات الكنعانية لغة موأب في

شرقي فلسطين وفي باريس توجد كتابة قديمة في هذه اللغة وضعها ملك اسمه (مَيشع) يذكر فيها حروبه مع عمرى ملك الاسباط (أسباط بني اسرائيل) يقال لهم فى كتب العرب ملوك الاسباط

ذكرنا أن مملكة بني اسرائيل تجزأت شمالية وجنوبية الشمالية عشرة أسباط والجنوبية سبطان فسميت الشمالية مملكة الاسباط وعمرى من ملوك الاسباط وهذا كان في أوائل القرن التاسع قبل الميلاد

ومن لغات الكنعانيين لغة الفينيقيين ولم يبق من لغة الفينيقيين الا كتابات وضع بعضها الفينيقيون ووضع بعضها البونيون أي أهل قرطاجنة وهذه الكتابات من الجيل السابع قبل الميلاد

وأجل هذه الكتابات وضعه ملوك الفينيقيين كملوك صيدا (واسمها في القديم صيدون) يخبر الملوك في هذه الكتابات عن أنفسهم ويطلبون بالحاح شديد أن لا يفتح انسان قبورهم ولا يدنسها ويلعنون من اجترأ على ذلك

قد فرغنا من الكنعاني ولنشرع في الارمي فنقول :

تقدم أن اللسان الارمي هو النوع الثاني من القسم الشمالي في اللغات السامية وفيه اي اللسان الارمي قسمان أحدهما غربي وهو لسان اليهود المتأخرين في فلسطين وفي مصر وهو لسان عدة أمم كالسامرية (قريب من نابلس) ونبط وأهل تدمر والقسم الثاني شرقي وهو لسان اليهود في بابل ولسان السريان وغيرهم وهو أجل هذه اللغات السريانية . كان ابتداء تحريرهم للكتب بهذه اللغة فيما بين النهرين وفي الرها ونواحيها وكانت الرها قصبة مملكة واسمها القديم باليوناني (الروهه) وبها سمى عند العرب الرها .

. وأما قول من قال أنها سميت باسم مستجدثها وهو الرهاء بن البلندا فوهم ثم انتشرت السريانية فأصبحت لغة العلماء من الامم السريانية والكتب المحررة فيها لا تحصى وأكثرها فيما يختص بالدين النصراني وفي كتب النحو أيضاً واللغة والفلسفة والطب. اكتسبوا العلم من اليونان وأذاعوه في بلادهم . كانت لهم مدرسة

مشهورة في الرها ثم أخرى في نصيبين كانوا يتعلمون فيها لغة اليونان وعلومهم وأسس كسرى أنوشروان مدرسة في جنديسابور وترجم له السريان الذين هناك كتب اليونان ومن القرن الرابع قبل الميلاد قد شرع السريان في استخراج الكتب اليونانية الى السريانية ومن فحولهم في هذا الفن سرجيس من مدينة رأس عين المتوفي سنة ٥٢٦ ب م تقريباً وهو أول من علم أبناء وطنه فلسفة أرسطوطاليس ومنهم أيضاً يعقوب الرهاوي وهو فريد عصره ثم صار السريان واسطة لاقتباس العرب علوم اليونان كالمنطق والفلسفة وعلم الرياضة وعلم الفلك وهلم جرا

ومن الجيل الثاني للهجرة الى الرابع نقلت أجل كتب اليونان الى السرياني ومن السرياني الى العربي (واليهود كانوا يستخرجون من العربي الى العبراني ومنه الى اللاتيني فكان اليهود واسطة بين اللاطين والعرب) لان السريان يتعلمون اليونانية والعربية في مدارسهم وكانت لهم اليد الطولى فيهما وكفى بذلك مجداً لهذه الامة

ومن مشاهيرهم يوحنا بن ماسويه (يقال له بالعربي يحيى) في أيام هارون الرشيد ثم بويع للمأمون ابنه بالخلافة وكان من مساعدته للعلوم واكرامه للعلماء ما لا يدخل تحت الوصف وكثرت في أيامه الترجمة والاستخراج وممن برع في هذا الفن الحجاج ابن مطر . وقد سبق ذكره ويوحنا بن بطريق (وبالعربي يحيي) الذي نقل الى العربي بعض تآليف أرسطاطاليس وعبد المسيح الحمصي في أيام المعتصم وقسطا بن لوقا

ومن مشاهيرهم حنين بن اسحاق المشار اليه بالبنان في معرفة لغة اليونان نقل الى العربي كتب أفلاطون وأرسطاطاليس و بطلميوس وإبقراط وتوفي حنين سنة ٢٦٠ هـ واسحق بن حنين المتوفي ٢٩٠ هـ ترجم كتب أرسطاطاليس وغيره

ومنهم أيضاً حبيش بن الحسن وأبو بشر يحيى بن عدي المنطقي المتوفي سنة ٣٢٨هـ وبرع السريان أيضاً في الطب وكانوا ينادمون خلفاء بني العباس

ومن أعيانهم جبريل بختشيوع طبيب هارون الرشيد

أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب

﴿ ٣٣ ﴾

(جزئيات المحاضرة)

سياق الكلام في اللغة السريانية واختراع السريان للحركات وسببه ، الحركات عند العبرانيين وعند العرب ، علم النحو عند السريان ، تعريف الكلام عند اليونان وعند العرب، تعريف الاعراب

* * *

وبرع السريان في علم الصرف والنحو أيضاً وهم الذين أبدعوا علامات الحركات في لغتهم وأخذها منهم سائر الساميين . وذلك ان الاحرف الهجائية الفينيقية لا محل فيها للحركات. فلما أخذ هذه الاحرف اليونان والرومان احتاجوا الى علامات الحركات ولم يجدوها . ثم رأوا أن حروف الحلق كالهاء والعين تدل على أصوات غير موجودة في لسانهم (أي في لسان اليونان) وانها قريبة الى صوت حركاتهم فاستعملوا هذه الاحرف علامات لحركاتهم فالحاء من حروف الحلق وهي غير موجودة في لغتهم فأخذوا منها أولاً H وثانياً E وكذلك العين من حروف الحلق وهي موجودة في الفينيقي وليست عندهم فاستعملوا بدلها حرف O لانهما قريبان

هذا ما كان من أمر اليونان والرومان وأما السريان فاستغنوا بالاحرف دون الحركات برهة طويلة من الزمان ثم تنصر السريان ونقلوا الى لغتهم الكتب المقدسة خصوصاً الاناجيل وأرادوا ضبط كل كلمة منها عند قراءتها في الكنائس والبيع احترازاً من الخطأ فان الخطأ في تلاوة مثل هذه الكتب المحترمة فاحش . وقد يستلزم ما يوهم الكفر والزندقة في قارئها . ويماثل ذلك ما حكي عن أبي الاسود الدؤلي قيل أنه أخذ النحو عن علي بن أبي طالب وكان لا يخرج شيئاً منه وسأله زياد بن أبيه

في وضع كتاب في النحو فأبى حتى سمع قارئا يقرأ ان الله برىء من المشركين ورسوله بالجر عطفاً على المشركين فقال ما ظننت أن أمر الناس آل الى ذلك ووضع كتاباً فصار ابتداء النحو عند العرب كذلك

ولما لم يكن للسريان بد من الحركات ولم تكن لهم سبيل الى تغيير الاحرف المعهودة المستعملة أو الى زيادة أخرى اضطروا الى اختراع علامات صغيرة قصيرة لا تتأثر بها الاحرف ولا يغير شكلها فاقتصروا على رسم نقطة أو سطيرة صغيرة فوق الحرف أو تحته أو في وسطه فبقيت الاحرف كما هي فلم يغيروا أحرفا بل زادوا نقطاً أو سطيرات

ولما رآهم اليونان يستعملون بعض النقط فوق الحرف و بعضها فى وسطه أو تحته وأن دلالة النقط تختلف باختلاف موضعها حذوا حذوهم وهذا استنباط منهم انتفع به علماء العرب فأتقنوه وأصلحوه وفي المصاحف القديمة من الجيل الثاني للهجرة تدل النقطة من فوق الحرف على الفتح ومن تحته على الكسر وفي وسطه على الضم ثم صارت هيئة الحركات على ما هي عليه الآن وكان ضبط الكلمات بالحركات و بالاعراب ضروريا لان العرب خالطت العجم فتغير لسانهم

ونرى الأئمة في اللغة ألفوا كتباً في الخطأ والصواب مثل كتاب أبي عبيدة المتوفي سنة ٢١٠ ه وهو من أقدم النحويين وسادتهم وهذا الكتاب فيما تلحن فيه العامة ومثله كتاب المازني المتوفي سنة ٢٤٩ ه ولا حاجة الى ذكر درة الغواص في أهوام الخواص للحريري فان هذا الكتاب يتداوله كل من له رغبة فى العربية الفصيحة.

وبواسطة الحركات دُل على هيئة اللفظ الصحيح مطابقة لكلام الاعراب البدويين الذين كان النحاة القدماء يستشهدون بلغتهم وكانت لغتهم على افصح ما يكون. ولذلك سمي الاعراب اعراباً فان الاعراب في المعنى الاصلي هو التكلم على طريقة العرب كما ان الاعجام هو التكلم على طريقة الاعاجم. وفى كلام الاعراب كانت تتغير اواخر الكلمات رَفعاً وجرّا ونصباً والاعراب في اصطلاح النحاة هو تغيير اواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها حقيقة او حكماً

واخذ العبرانيون ايضاً الحركات من السريان

وقد سبق القول في اشتغال السريان بالعلوم اليونانية وفي نقلهم لكتب أرسطاطاليس وغيره الى العربية . وسبق القول في أن كسرى أنوشروان أسس مدرسة فى مملكته لتعليم الفلسفة والعلوم اليونانية على أيدي السريان فانتشرت هذه العلوم عند الفرس وشاعت . وقد أشار ابن خلدون في المقدمة الى أن أقدم النحاة وأجلهم كسيبويه والفارسي والزجاج كلهم من الاعاجم نسباً وبمخالطة العرب وبالتدين بالاسلام اكتسبوا اللسان العربي . وعند وضعهم كتبهم المشهورة سلكوا مسلكا فيلسوفياً يتعلق بالمنطق ومن ذلك أن أرسطاطاليس قال ان الزمان والمكان هما كالوعاء للأشياء اذ لا بد لكل شيء مخلوق أن يكون واقعاً في زمان من الازمنة وفي مكان من الامكنة فهما كالوعاء له . وهذا أصل تسمية النحو يين للمفعول فيه ظرفاً أي وعاء. ومن مذهب أرسطاطاليس في المنطق تقسيم الكلم الى اسم وفعل وحرف وتعريف الكلام عند نحاة اليونان هو تركيب كلمات تفيد معنىً تاما وهذا يماثل تعريف الكلام عند نحاة العرب اذ الكلام عندهم لفظ مركب مفيد يحسن السكوت عليه

والصرف عند اليونان هو تحويل آخر الكلمة من حرف الى آخر ويضاهيه تعريف الاعراب أي عند نحاة العرب تغيير أواخر الكلم الخ . ويقال للصرف عند اليونان كلسيس ومعناه امالة الشيء أي صرفه

هذا ما كان من اختراع السريان للحركات واشتغالهم بالمنطق تبعاً لليونان . وبعد ذلك انتشرت بينهم اللغة العربية . ومن القرن الخامس أو السادس للهجرة كانت العربية لسانهم المأنوس الا ما يختص بأمور الدين كالصلوات وشبه ذلك

وأما السرياني الحديث الذي يتكلم به بعض سريان العراق ونواح من فارس تلي العراق فهو متولد من القديم غير أن الالفاظ العربية والفارسية الدخيلة كثيرة فيها الى الغاية ولا كتب في هذه اللهجات الا الحكايات والامثال وما ترجم اليها حديثاً

﴿ ٣٤ ﴾

(جزئيات المحاضرة)

اللغات الارمية الغربية، أرميـة اليهود وترجمتهم للكتب المقدسة أي ترجوم، السامريون ولغتهم، لغة تدمر واخبار هذه المدينة، ذكر قبورهم فيها وصور المدفونين المنقوشة عليها، أشعار العرب في ذلك، لغة النبط وكيفيتها، لغة الارميين في مصر في الفترة بين الفراعنة والاسكندر

***

من اللغات الارمية الغربية لغة اليهود المتأخرين . وبعض أجزاء كتب اليهود المقدسة محرر بهذه اللغة واليها نقلت جميع الكتب المقدسة كما تقدم . ويقال لهذا النقل (ترجوم) أي الترجمة.وفيها كذلك تآليف ومتون وحكايات وضعت لايضاح المقرا . ومن اللغات الارمية الغربية اللغة السامرية أى لغة مدينة سامرة (قريباً من نابلس) في فلسطين وهي لغة من تناسل من السمرة الذين أسكنهم ملك أشور فى مدينة سامرة ونواحيها بعد أن خربها وأجلى أهلها من بلادهم.والسامرية على دين اليهودية غير أنهم انفصلوا من يهود القدس في القرن الخامس قبل الميلاد ولم يقبلوا من كتبهم الا التوراة وترجموها الى لغتهم المخصوصة فلهم التوراة في العبرانية وهو الاصل وفي السامرية وفى العربية ولهم أيضاً صلوات وتسابيح غير أن لغتهم الآن عربية . ومن اللغات الارمية الغربية لغة تدمر وتسمى فى أوروبا الآن Palmira وتدمر مدينة مشهورة فى برية الشام فيما بين حمص والفرات . حكي أنها مبنية على عمد الرخام وبانيها فى قول بعضهم سليمان ابن داوود وما أحسن أبيات النابغة الذبياني فى قصيدته التي هي من مخدرات العرب كما قال صاحب أدبيات اللغة العربية وأصاب

ولا أرى فاعلا فى الناس يشبهه   ولا أحاشي من الاقوام من أحد

الا سليمان اذ قال الاله له   قم فى البرية فاحددها عن الفند

وخيس الجن انى قد أذنت لهم   يبنون تدمر بالصفاح والعمد

قال ياقوت الناس اذا رأوا بناء عجيباً أضافوه الى سليمان والى الجن اه

وكانت تدمر بلداً يتجر فيه واليه فانها فى وسط مملكتين عظيمتين مملكة الفرس فى الشرق ومملكة الرومان في الغرب وهي مستقلة ثم كان من أمر سابور ملك الفرس أنه أسر ملك الرومان (والاريالوس) فأراد ابنه جالينوس الذي ورث مملكته أن يأخذ من سابور ثأره فساعده على ذلك رجل من وجوه مدينة تدمر اسمه أذينة وهو رئيس العرب القاطنة فى المدينة وفى نواحيها وزحف أذينة الى سابور وهزمه فقلده جالينوس الملك على بلاده وذلك فى سنة ٥٦٠ ب م . ثم مات أذينة عن ابن صغير اسمه وهب اللات ومعناه هبة اللات فانهم كانوا يعبدون اللات والعزى وهبل كبنى كنانة وبني قريش وغيرهم فى الجاهلية . واذ كان وهب اللات حديث السن تولت أمه زينوبياً نيابة الملك وكانت زينوبياً فريدة عصرها فى حسنها وفي عقلها وفي بأسها وتغلبت على الشام وعلى بعض نواحي مصر ثم هاجت الحرب بينها وبين (أورليان) ملك الرومان وكسر أورليان جيوشها مرتين ثم حاصرها في مدينتها تدمر الى أن هربت وخربت المدينة في سنة ٣٧٢ ب م . هذه هي الاخبار الصحيحة لانها وردت من المعاصرين ولا شك أن إياها (أي زينوبياً) عنى علماء العرب فى حكايتهم عن الملكة الزباء أي الملكة نائله التي ورثت الملك عن أبيها عمرو بن الظرب وأرادت الانتقام له من جذيمة الابرش . وحكايتها وأمر قصير والجمال وما ضرب حينئذ من الامثال لا محل هنا لذكره . ووجدت فى نواحي تدمر كتابات عديدة ولغتهم من اللغات الارمية الغربية وتقارب النبطية وفى بعض هذه الكتابات اسم ملكهم أذينة الموما اليه

قال ياقوت ان الكتابة التدمرية لم يصل العلماء الى تفسيرها . وهذا فى زمانه وأما الآن فهي مفسرة واضحة . وكان أهل تدمر ينقشون على القبور صور الرجال المدفونين داخلها ومثل هذه الصور صورة جاريتين رآهما أوس بن ثعلبة التيمي فى أيام يزيد بن معاوية وقال فيهما

فتاني أهل تدمر خبراني ألما تسأما طول القيام
قيامكما على غير الحشايا على جبل أصم من الرخام

وقال محمد بن الحاجب

أتدمر صورتاك هما لقلبي غرام ليس يشبهه غرام

وهذه الاشعار اللطيفة على الشواهد

﴿ ٣٥ ﴾

(جزئيات المحاضرة)

اللغة النبطية ، اللغة الارمية في مصر في أيام سلطة الفرس ، ا للغة العربية المعهودة وكيفيتها ، اللغة العربية القديمة وكتاباتها في الحوران « صفى » « لحية وثمود » كتابة الملك امريء القيس بن عمرو

***

ومن اللغات الارمية الغربية لغة الكتابات النبطية وكانت الانباط أمة عربية الاصل ولغتهم المأنوسة العربية وكانت اذ ذاك العربية للتكلم وللمحاورة بين الناس لا لتحرير الكتابات أو المكاتيب اذ الاحرف الهجائية لم تستنبط بعد عند العرب ويماثل ذلك أمر النوبة فان لغتهم تخالف العربية غير انهم لا يحررون المكاتيب الا بها ومملكة الانباط كانت في القرن الاول قبل الميلاد وتتسع من شمالي الحجاز الى نواحي دمشق ومن أشهر ملوكهم حارثة الثالث والاسم يدل على أنه عربي ثم دخلت مملكتهم في طاعة الرومان حتى صارت في سنة ١٠٥ ب م ولاية من ولاياتهم

وقد أشرنا الى أن الارمية الغربية هي لغة الفرس الرسمية في النواحي ما بين الفرات الى البحر الابيض المتوسط وفي مصر كذلك فى الفترة بين الفراعنة والاسكندر وهي لغة اليهود الذين كان سكناهم في أصوان وهم على دين موسي يعبدون الله تعالى

خالق السموات والارض وكان لهم هناك هيكل ثم هدم كهنة المصريين هيكلهم فاستنجد اليهود عليهم بحاكم البلد وباليهود القاطنين في القدس وبعض هذه المكاتيب المحررة بهذه اللغة هي في الانتيكخانة في مصر وجميع هذه اللغات الارمية الغربية تتشابه أشد تشابه

قد تقدم أن لسان العرب على قسمين شمالي وجنوبي وبينهما التيه المسمى الآن بالربع الخالي والقسم الثاني الشمالي يشمل العربيــة المعهودة أي لغة معد بن عدنان من ربيعة أو من مضر . وهي من أحدث اللغات السامية كتابة فان أول ما بلغنا مما سطره البابليون هو في غاية القدم أي من القرن الاربعين قبل الميلاد

والكلمات الكنعانية في مكاتيب تل العمارنة هي من القرن الخامس عشر قبــل الميلاد ثم الكتابات السبئية في جنوب جزيرة العرب قيل انها من القرن الثاني عشر والكتابات الفينيقية والارمية من القرن الثامن أو السابع ق م . وكتابات الحبش القديمة سطرت في منتصف القرن الرابع بعد الميلاد . وخلافا لهذا كله ما روى من شعر العرب كشعر المهلهل وامريء القيس لا يبلغ القرن السادس بعد الميلاد ومع ذلك لا تعرف لغة في اللغات السامية تكون أقرب الى اللسان الاصلي وأصح في أبنية الاسماء والافعال من اللغة العربية وذلك لان العرب لم يخالطها غيرها ولم تقصدها ملوك وجيوش طموحا الى امتلا كها ولم تدخل تحت حكم أمة أجنبية كسائر الساميين فان أهل بابل ونينوى خالطهم أمم أجنبية لا مناسبة بينهم وبينها لا في النسب ولا في اللغة ويقال لهذه الامم سمير وأكاد فتغيرت بسببهم لغة بابل منذ زمان طويل

وقد سبق أن العبرانيين لمــا تغلب عليهم الكلدانيون مالت لغتهم الى الارمية

ولنقس على ذلك شأن سائر الساميين. وأما العرب فعلى خلاف ذلك وقد تمكنوا من غزو الاعداء ولهم المفازة التي بينهم وبين العراق والشام أي صحراء الشام والنفود . ومن هجم عليهم في بلادهم لم تدم سلطنته عليهم كملوك الأوربيين أو رجع بالخيبة وبالافتضاح كغالوس الذي ذكرناه

وقبائل العرب الشمالية تنتمي الى معد بن عدنان أي إما الى ربيعة أو الى مضر.

غير أن بعض القبائل التي كان سكناها الاصلي في الجنوب انتقلت الى الشمال وتحولت لغاتها الى لغة ربيعة ومضر كبني طيء وكندة وتنوخ

وقد تقدم أن أقدم أشعار العرب من القرن السادس أو قبل هذا. وفي عصرنا عثر المسافرون على كتابات وجيزة خطت على الصخور في النواحي التي بين دمشق والعلى. ولغة هذه الكتابات هي العربية القديمة وتجانسها كتابة خطت على قبر ملك اسمه امريء القيس الذي مات سنة ٣٢٨ ب م . وأما الكتابات التي أومأنا اليها فهي من رسم الرعاة . ولغتها تخالف في بعض الامور العربية المعهودة الآن . ومن ذلك أن التعريف بحرف الهاء لا بالالف واللام . ففرس مثلا معناه فرس وهفرس معناه الفرس ورد في احدى هذه الكتابات هذه الكلمات حامل بن سلم أخذ هفرس بخمسة أمنى (وامنى اسم تقود من نقودهم أي منا)

وفي أخرى هذه الكلمات الانعم بن فاحش غنم سنة حرب نبط . وحرب نبط هي في أوائل القرن الثاني بعد الميلاد في أيام طرايانوس ملك الرومان . واستدل بذلك على أن هذه الكتابات من القرن الاول أو الثاني تقريباً وفي أولها أو في آخرها ترد هذه الكلمات سلم فوها اللات (فوها — قدام)

وأجل من ذلك ما كتب على قبر امريء القيس الذي تقدم ذكره . كان امرؤ القيس هذا ملكاً وكانت وفاته في سنة ٣٢٨ ب م كما هو مرسوم في الكتابه ذاتها وكنيته ابن عمرو وإذ كان اسمه امرؤ القيس بن عمرو وكانت دولته في أوائل القرن الرابع ب م فلا يبعد أن يكون هذا القبر قبر امريء القيس بن عمرو ملك الحيرة في أواخر القرن الثالث وفي أوائل القرن الرابع . ونص كتابة القبر هكذا . وهي بالاحرف النبطية ولكني أكتبها بالعربية « تى نفس امريء القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو أسر التاج » تى يعني هذي — نفس يعني قبر — ذي بمعنى الذي — أسر يعني لبس ثم يقول « وملك الاسدين ونزار (وهي قبائل) ثم يقول وملوكهم وهرب مذحج ثم بعض كلمات لا تقرأ . ثم يقول حبج لنجبران مدينة شمر (حبج . حاصر) ثم يقول وملك ابنه (وهنا اسمان لا يقرآن) الشعوب ووكلهم فرّاس للروم

(ووكلهم . جعلهم) ثم يقول فى الآخر فلم يبلغ ملك مبلغه هلك سنة ٣٢٨ ثم فى الآخر بالسعد ذو ولده (أي يكون سعيداً الذي ولد له) والتاريخ بالارقام موجود بالنبطي وهو يوافق ٣٢٨

هذا يستحق أن يسمى العربية القديمة . وأما أشعار الجاهلية فهي لغة مأنوسة والدخيل فى العربية كثير وجمعه الأئمة كالجواليقي وكتاب الخفاجي وقبل أن أذكر الكلمات المفردة الدخيلة نكمل شرح اللغات السامية بذكر الحميرية والحبشية

﴿ ٣٦ ﴾

(جزئيات المحاضرة)

اللغة العربية الجنوبية . حال اليمن وتجارتها . الاحرف الحميرية والاختلاف في أصلها . الاحرف الحبشية

***

القسم الجنوبي من اللغة العربية يشتمل على لغة سبأ وحمير وعلى لغة الحبش . ولسان حمير وسبأ لسان بني قحطان (ولا نبحث الآن عن أحوال الامم القديمة كعاد وثمود والعمالقة وطسم وجديس ولغاتهم) وبلاد سبأ وحمير اليمن كما هو معروف وسميت اليمن الخضراء لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها التي ملأت الدنيا ولا تكون الا في اليمن كالعطور والكندر والورس وغيرها . وكانت بلاد اليمن في غاية العمار حتى غلبت عليها عند اليونان صفة السعيدة فكان يقال لها بلاد العرب السعيدة وكانت بضائع الهند تجلب اليها ثم تحمل العطور والبضائع الى مأرب وهي قصبة اليمن اذ ذاك ومن ثم الى مكة . وكانت مكة تسمى عند اليونان واللاتين ماكوربا (Macoraba) أي البلد الكبير

كان ملك اليمن بادىء الامر لسبأ ثم انتقل الى حمير واذ كان مسكنهم ساحل البحر بحذاء بلاد الحبش كان من الحروب بينهم وبين الحبش ما يطول الكلام فيه في هذا

المحل . ثم دخلت اليمن تحت حكم الفرس واضمحلت لغتهم في أثناء ذلك واستفاضت بينهم العربية غير أن في عربيتهم عجمة ولكنة

ويطلق على الكتابات الموجودة في جنوب جزيرة العرب صفة الحميرية فيقال الكتابة الحميرية . ومن أراد التدقيق والتحقيق فرق بين الكتابات الحميرية والسبئية وغيرهما والحميرية أحدثها. والاحرف الحميرية تخالف سائر الاحرف الهجائية التي ذكرناها واختلف في اشتقاقها . ومنهم من قال انها من الاحرف الفينيقية مباشرة ومنهم من قال انها من الاحرف الفينيقية بواسطة الاحرف اليونانية

عربي	حميري	حبشي	عربي	حميري	حبشي
ا	𐩱	አ	غ، ع	𐩲	ዐ
ب	𐩨	በ	ف	𐩰	ፈ
ج	𐩴	ገ	ص	𐩮	ጸ
د	𐩵	ደ	ق	𐩤	ቀ
ه	𐩠	ሀ	ر	𐩧	ረ
و	𐩥	ወ	ش	𐩦	ሠ
ز	𐩸	ዘ	ت	𐩩	ተ
ح	𐩢	ሐ	ث	𐩻	(ሠ)
ط	𐩷	ጠ	ذ	𐩹	(ዘ)
ى	𐩺	የ	غ	𐩶	..
ك	𐩫	ከ	خ	𐩭	ኀ
ل	𐩡	ለ	ض	𐩳	ፀ
م	𐩣	መ	ظ	𐩼	(ፀ)
ن	𐩬	ነ	ث	𐩯	(ሠ)(ሰ)
س	𐩪	ሰ			

(شكل ١)

أما صور الاحرف الحميرية والحبشية فهذا جدول كتبت فيه على ترتيب الاحرف الابجدية (انظر شكل ١)

الاسم في لغة حمير إما أن يكون متمكناً أمكن أو متمكناً غير أمكن. وعلامة الاول عندهم م بدل التنوين في العربية الحديثة فملك مثلا يكتب عندهم م ل ك م فالميم في محل التنوين عند العرب وتحذف للاضافة فاذا أريد اضافة سبأ الى ملك كتب هكذا م ل ك س ب أ

العلمية ووزن الفعل وألف التأنيث تمنع الاسم من الصرف مثل العربي فكلبة مثلا علم على قبيلة فتمنع من كتابة الميم في آخرها فتكتب ك ل ب ت

والجمع السالم في لغة حمير يكون بالميم وعلى القارىء أن يميز بين الميم التي تدل على صرف الاسم وبين الميم التي تدل على الجمع السالم. وأما المثنى فبالنون والياء

فجمع ملك مثلا يكتب م ل ك م باضافة ميم الى آخره كالاسم المنصرف. ومثناه يكتب م ل ك ن ي باضافة ن ي الى آخره

والجمع المكسر كثير في لغة حمير وهو كالعربى فيأتي على وزن أفعال وفعل وفعال وأفعل وغير هذه من الاوزان العربية

والنسبة في اللغة الحميرية بالياء فمثلا عدن تكتب ع د ن ي

واسم الاشارة في لغة حمير (ذ) ويجوز أن تقرؤه ذا أو ذو ولا يمكن أن نعرف أصله لان الواو والالف والياء كثيرا ما تحذف من الكلمات فى الكتابة الحميرية وقد تلحق باسم الاشارة ن تقوية للاشارة لا غير فيصير ذ ن

والمؤنث في الاشارة ذ ت ولعل المتروك الالف فيكون ذات وهو بمعنى هذي وفي الجمع أل

التعريف عند حمير غير مأنوس في لغتهم اللهم إلا في الازمان المتأخرة فكأنهم استعملوا أم بدل أل ومنه الحديث المشهور ليس من امبر امصيام في امسفر جوابا على قول حميري للنبي (ص) أمن امبر امصيام في امسفر

الفعل الذي على وزن افعل عند حمير بالهاء بدل الهمزة في أوله فأفنى مثلا يقال فيه هفنى وتصريف المضارع من الماضي كالافعال العربية فعندهم فرع يفرع ومعناه أعطى الجباية

والضمير المتصل في الحميري (هو) فملك مثلا يقال فيه ملكهو وضمير المثنى المتصل (همي) فيقال ملكهمي والجمع (همو) فيقال ملكهمو

﴿ ٣٧ ﴾

(جزئيات المحاضرة)

تفسير بعض الكتابات الحميرية وشرح الكلمات الواردة فيها، ذكر ما جاء فيها من أسماء آلهتهم مثل « إل مقه » المعبود في هرّان وفي أوّام الخ

* * *

هذه كتابة حميرية فيها اسم رجل واسم إله من آلهتهم . واذ كانت الكتابة الحميرية منفصلة الاحرف اعتادوا على رسم سطر صغير من أعلى الى أسفل في آخر كل كلمة ليفصلوا بينها وبين التي تليها فيدلوا على انها كلمة مستقلة وهذه الكتابة مؤلفة من خمس عشرة كلمة (انظر شكل ٢)

(شكل ٢)

وكتابتها بأحرف عربية هكذا

(١) وهبم (٢) وأخهو (٣) بنو (٤) كلبت (٥) هقنيو (٦) إل مقه (٧) ذهرن (٨) ذن (٩) مزندن (١٠) حجن (١١) وقهو (١٢) بعسألهو (١٣) لوفيهمو (١٤) وسعدهمو (١٥) نعمتم

وتفسير هذه الكلمات هو

(١) (وهبم) أي وهابٌ اسم رجل والالف كثيرًا ما تحذف من وسط الكلمة وآخرها في الكتابة الحميرية وكذلك الواو والياء . أما الميم الاخيرة فهي بدل التنوين في العربي ٢ (وأخهو) أي وأخوه ففيه واو حذفت بعد الهاء . أما هو فى آخرها فهي بدل ضمير الغائب وهو (ه) فى العربى (٣) بنو كتب بالواو لانه للقبيلة (٤) كلبت أي كلبة بالتاء المربوطة وليس فى الكتابة الحميرية تاء مربوطة وكلبة اسم قبيلة (٥) هقنيو أي أقنوا ومعناه أعطوا والفعل الذي على وزن أفعل فى اللغة الحميرية تبدل همزته هاء والمعتل لا يحذف حرف العلة منه مع اتصاله بواو الجماعة (٦) المقه اسم إله من آلهتهم كان يعبد فى هرّان وفى اوّام (٧) ذهرن أي ذو هران الواو حذفت من ذو والالف من هران

(شكل ٣)

وذو بمعنى صاحب وهران موضع قال ياقوت انه حصن ذمار باليمن (٨) ذن أي ذان وهو اسم اشارة زيدت النون في آخره لتأكيد الاشارة وحذفت منه الالف كالعادة (٩) مزندن أي لوح وهو لفظ حميري (١٠) حجن معناه لان أو بسبب (١١) وقههمو أي أجابهم وهمو هو ضمير المفعول في الجمع (١٢) بمسألهو أي عن سؤاله (١٣) لوفيهمو . هو فعل لم يحذف منه حرف العلة كما فى هقنيو ومعنى لوفيهمو أي سلمهم (١٤) وسعدهم أي وساعدهم (١٥) نعمتم أي نعمة والميم بدل التنوين

وهذه كتابة أخرى مؤلفة من ست عشرة كلمة (انظر شكل ٣)

وكتابتها بالاحرف العربية هكذا

(١) أخت امهو (٦) وشفترم (٣) بعلي (٤) خمتن (٥) بخلف (٦) هجرن (٧) مريب (٨) شمتى (٩) وثنن (١٠) لالمقه (١١) بعل (١٢) اوم (١٣) حجن (١٤) وقيهمو (١٥) بمسألهو (١٦) لوفيهمو

وتفسير هذه الكلمات هو

(١) أخت أمهو أي أخت أمه وهذا اسمها وهو في أمهو بدل الهاء في العربي (٢) وشفترم . علم وهو يقرب من الشنفري (٣) بعلي أي صاحبتي (٤) خمتن . أي الخيمة

(شكل ٤)

فالياء محذوفة من وسط الكلمة كما تقدم والنون الاخيرة بدل أل أداة التعريف (٥) بخلف أي وراء (٦) هجرن أي مدينـة ولذلك قيـل لقاعدة البحرين هجر والنون فيها للاشارة (٧) مريب هي مدينة مأرب المعروفة في اليمن وكان اسمها عند القدماء من اللاتين مَرْيب وهو يطابق الاسم الحميري (٨) شمتى أي وضعتا (٩) وَثَنن أي صنماً والنون فيه للاشارة (١٠) لالمقه أي للمقه الاله الذي تقدم ذكره (١١) بعل أي صاحب (١٢) اوم أي اوام وحذفت منه الالف كما تقدم واوّام بلد

(١٣) حجن أي لان أو بسبب (١٤) وقبهمو أي اجابهم (١٥) بمسألهو أي عن سؤاله (١٦) لوفيهمو . لسلمهم

وهذه كتابة أخرى مؤلفة من كلمات كثيرة بعضها تقـدم ذكره في الكتابات السابقة نتركه هنا ونضع موضعه أصفارًا (انظر شكل ٤)

وكتابتها بالاحرف العربية هكذا

(١) أسعد (٢) . . . . . . موضع كلمات تقدم نظيرها (٣) وزفهمو (٤) اولدم (٥) أذكرم (٦) هنأم (٧) لوزفهمو (٨) أثمرم (٩) وأفقلم (١٠) ووفي (١١) أبعل (١٢) بيتهمو (١٣) . . . موضع كلمة لا تقرأ فتركناها (١٤) بن (١٥) حرى (١٦) والىن (١٧) وىعص (١٨) وهرم (١٩) وسضر (٢٠) كل (٢١) انسم (٢٢) ذ يشصين (٢٣) بهمو (٢٤) بغير (٢٥) صدقم

وتفسير هذه الكلمات هو

(١) أسعد فعل بمعنى أعان كالعربي (٣) وزفهمو فعل اصله وزف أي منح وهمو ضمير جمع الغائب (٤) اولدم . أي أولادًا حذفت منه الالف قبل الدال وهو كثير والميم فيه بدل التنوين في العربى (٥) أذكرم . أي اذكرًا فالميم بدل التنوين وهو جمع ذكر ضد الانثى وهـذا الجمع ليس قياسيًا في العربية فان ما كان من الاسماء العربية على فعل لا يجمع على أفعل قياسًا إلا اذا كان ساكن العين كفلس وأفلس (٦) هنأم . أى هنيئًا ومعناه بغير مشقة كالعربى حذفت منه الياء قبل الهمزة كما هي العادة والميم فيه بدل التنوين فأصل الكلمة فى الحميري ه ن ي ء م يقابلها في العربى ه ن ي ء (منوّنة) وفي الاسم العربي الهمزة اذا كانت في آخر الكلمة بعد ياء تصور مفردة مثل شيء فاذا نونت بالنصب وزيدت الف علامة للتنوين بالنصب وصلت الالف بالياء التي قبل الهمزة لعدم جواز الفصل فيهما ووضعت حينئذ الهمزة على نبرة بين الياء والالف كما ترى في هذا الرسم (٨) أثمرم . اي أثمارًا حذفت الالف قبل الراء والميم بدل التنوين (٩) وافقلم . أي وأفقالا حذفت الالف قبل اللام والميم بدل التنوين وافقال جمع فقل والفقل الريع يقولون الارض هذا العام كثيرة الفقل أي

الربع وقد اقفلت ارضهم إقفالا (١٠) ووفى أي أتم أو أدى (١١) أبعل . اي أبعالا جمع بعل بمعنى صاحب محذوف الالف قبل اللام (١٢) بيتهمو معروف (١٤) بن من بالباء بدل الميم كما يقال بكة في مكة (١٥) حرى . سوء ولكننا لا نعرف اشتقاق الكلمة (١٦) ولسن أي لسان حذفت الالف قبل النون (١٧) ومعض هو عربي كذلك يقال معض من هذا الامر وامتعض منه اي غضب وشق عليه واوجعه (١٨) وهرّم اضعف (١٩) وسضر لا نعرف له اصلاً في العربية وقيل هي في الحميرية التشتيت (٢١) انسم أي أناس حذفت منه الالف بعد النون والميم في آخره بدل التنوين (٢٣) ذ يشصين . هي ذو الطائية بمعنى الذي ويشصين محذوف الواو فهو يشصيون ومعناه يوقعون من شصى يشصي أي اوقع (٢٥) صدقم اي صدق الميم فيه بدل التنوين

﴿ ٣٨ ﴾

(جزئيات المحاضرة)

تتمة القول في الكتابات الحميرية ، تآليف الحسن بن احمد الهمداني ، القصيدة الحميرية لنشوان بن سعيد الحميري ، كتاب الملوك وأخبار الماضين لعبيد بن شرية ، لمحة في لغة الحبشان القديمة

* * *

هذه كتابة مختصرة مؤلفة من ثلاث وأربعين كلمة (انظر شكل ٥)

(شكل ٥)

وكتابتها بالأحرف العربية هكذا

(١) سعد اله (٢) و بنهو (٣) بنو (٤) مرثدم (٥) هقنيو (٦) المقه (٧) ذهرن (٨) مزندن (٩) حجن (١٠) وقيهمو (١١) بعسألهو (١٢) المقه (١٣) بعل (١٤) أوم (١٥) ذعرن (١٦) ألو (١٧) فوقه (١٨) مرثدم (١٩) لشيم فليت (٢٠) اسررهمو (٢١) ووقيهمو (٢٢) ليصلمن (٢٣) قعتم (٢٤) وشعبم (٢٥) بثثو (٢٦) بخرفم (٢٧) وليغتورو (٢٨) بنهو (٢٩) ولذبحو (٣٠) بعشمني (٣١) عثتر (٣٢) وشمش (٣٣) وذبحو (٣٤) بهرن (٣٥) حل (٣٦) علم (٣٧) هو (٣٨) تعلم (٣٩) سعدله (٤٠) علم (٤١) رأ (٤٢) بن (٤٣) بردم

وتفسير هذه الكلمات هو

(١) سعد إله . أي سعد الله وهو علم (٢) و بنهو. أي و بنوه والياء محذوفة كما قلنا ذلك قبلا انالالف والواو والياء كثيرًا ما تحذف من وسط الكلمة فيالكتابةالحميرية وأعتبرنا المحذوف ياء لا واوًا لما تقدم من أن ابن يكون جمعه بالياء اذا كان لرجل وبالواو اذا كان لقبيلة. وهو في و بنيهو هي بدل ضمير الغائب وهو الهاء (٣) بنو . جاء بالواو لانه لأبناء القبيلة (٤) مرثدم . أي مرثد اسم قبيلة وهو علم لكبيرها والميم فيه بدل التنوين (٥) هقنيو . تقدم (٦) المقه . تقدم أنه إله من آلهتهم وكان يعبد في هرّان وأوّام (٧) ذهرن . أي ذو هران وتقدم شرحه (٨) مزندن . تقدم شرحه كذلك (٩) حجن تقدم أنه بمعنى لان أو بسبب (١٠) وقيهمو . تقدم تفسيره (١١) بعسألهو . تقدم تفسيره (١٢) المقه . معروف (١٣) بعل تقـدم أنه بمعنى صاحب هنا (١٤) اوم. أوام وهو اسم بلد حذفت فيه الالف قبل الميم (١٥) ذعرن.أي ذوعران حذفت منه الواو والالف وهو اسم موضع قرب اليمامة (١٦) ألو.اسم موضع (١٧) فوقه فأجاب (١٨) مرثدم . أي مرثدًا (١٩) لشيم . وهو من شام بمعنى وضع. وهو نادر ولم أجده إلا في سيرة ابن هشام (٢٠) اسررهمو . أي اسرارهمو . محذوف الالف وهو جمع سر (٢١) ووقيهمو . تقدم ويرى في كلام حمير كلمات كثيرة مكررة تكرارًا يخرجها عن المألوف وذلك يدل على عدم فصاحتهم (٢٢) ليصلم . أي ليحامي (٢٣)

قعتم . أي قيعة جمع قاع بمعنى الارض السهلة التي انفرجت عنها الآكام والجبال . أو هو مفرد بهذا المعنى . حذفت منه الياء قبل العين والميم فيه بدل التنوين (٢٤) وشعيم . أي وشعباً وهو القبيلة والميم بدل التنوين (٢٥) بثو . أي بثوى اسم مكان من ثوى أي أقام وهو محذوف الالف من الآخر (٢٦) بخرف . أي بخريف محذوف الياء . وكانوا في جنوب الجزيرة يعتبرون العام فصلين فقط وهما الشتاء والصيف (٢٧) وليغتوروا . وليردوا (٢٨) بنهو أي بنيهو وتقدم نظيره (٢٩) ولذبحو . معروف (٣٠) بعشمنى أي بشيمنى . والياء محذوفة وهو مثنى مشيم فالنون والياء فيه للتثنية وهو من شام أي وضع (٣١) عثتر . اسم إله (٣٢) وشمش . اسم إله (٣٣) وذبحو معروف (٣٤) بهرن . أي بهران وهو اسم البلد الذي كان يعبد فيه المقه وقد تقدم (٣٥) حج أي لان أو بسبب (٣٦) علم . معروف (٣٧) هو . معروف (٣٨) تعلم . معروف (٣٩) سعدله أي سعداله وتقدم ذكره (٤٠) علم . معروف (٤١) رأ . أي رأى (٤٢) بن . أي من وتقدم شرحه (٤٣) بردم . أي برد فالميم فيه بدل التنوين ومعناه كما هو في العربي

* * *

وزالت اللغة الحميرية قبل ظهور الاسلام ولم يبق منها إلا شيء يسير في بعض النواحي . ثم تولدت منها لهجات مهرة والشحر في جنوب الجزيرة والتفت علماء الاسلام الى أخبار ملوك حمير وآثار مدنهم وأشهرهم في هذا الالتفات الحسن بن احمد الهمداني صاحب كتاب صفة جزيرة العرب . وله كذلك كتاب الاكليل المتضمن عشرة فصول . وفي الفصل الرابع والخامس والسادس منها تاريخ بني قحطان من أول أمرهم الى أبي كرب ثم الى ملك ذي نواس والى ظهور الاسلام . ويذكر في فصل أمثال حمير ولغتهم وحروفهم الهجائية غير ان هذا الكتاب لم يعثر عليه برمته احد ولكن توجد قطعة منه في لندره

* * *

ولنشوان بن سعيد الحميرى القصيدة الحميرية المعروفه وهو في الجيل الخامس بعد الهجرة ونروي هنا منها بعض ابيات قال

الامر جد وهو غير مزاح فاعمل لنفسك صالحاً يا صاح

ثم يقول بعد أبيات

كل البرية شارب كأس الردى من حتف أنف أو دم سفاح

أفأين هود ذو التقى ووصيه قحطان زرع نبوة وصلاح

أم أين يعرب وهو أوّل معرب في الناس أبدى النطق بالافصاح

فهو يذكر في هذه القصيدة ملوك حمير ولذلك تسمى الحميرية وهي طويلة

***

وأول من وضع كتابا في أخبار حمير هو عبيد بن شرّية في أيام معاوية بن أبي سفيان سماه كتاب الملوك وأخبار الماضين. ذكره المسعوديّ في مروج الذهب. ثم فقد ولم يعثر له على أثر

***

وأسماء الايام عند الحميريين جاءت منظومة في بيتين وهما

أؤمل أنْ أعيش وإنّ يومي بأول أو بأهوَن أو جبار

أو التالي دُبار فان يفتني فمؤنس أو عروبة أو شيار

أول. يوم الاحد — وأهون. يوم الاثنين — وجبار. يوم الثلاثاء — ودُبار. يوم الاربعاء — ومؤنس. يوم الخميس — وعروبة. يوم الجمعة

***

اللغة الحبشية فرع لغة العرب الجنوبية فان بعضهم عبر البحر الى افريقا فاستوطنوها. وقيل ان أصل كلمة الحبش من حبش أي جمع وخلط كأنهم مركبون من شعوب كثيرة وليس بصحيح. وأصل تسميتهم هذه انما هو من احدى قبائل حضرموت تسمى حبشة

وقد سبق القول ان الاحرف الحبشية مشتقة من الاحرف الحميرية فهي ليست من نوع الكتابة الهيروغليفية كما زعم صاحب دائرة المعارف

وأما الحركات في الكتابة الحبشية فهي بتغيير يسير يلحق كل حرف . ولغة الحبش تقارب اللغة العربية فتاء الفاعل التي تلحق الفعل في العربية يكون بدلها في الحبشية كاف مثال ذلك قتل يكون في العربي قتلتُ قتلتِ قتلتَ قتلتما الخ وفي الحبشي قتلك الخ

على اننا نروي أبياتاً في حصار مكة على عهد الحجاج وعبد الملك بن مروان فيها الكاف بدل التاء قال الشاعر « يا ابن الزبير طالما عصيكا »

واسم الفاعل في الحبشية على وزن فَعالي فقاتل مثلاً يكون قتالي ومنه نجاشي مأخوذ من نجش أي ملك

٣٩

(جزئيات المحاضرة)

الكتابات الحبشية القديمة وتنصر من وضعها من ملوكهم ، اللغات الحديثة المتولدة من الحبشية ، الالفاظ المعرّبة وكيفيتها

* * *

جمع الاسماء في اللغة الحبشية اما سالم أو مكسر وآلة التعريف معدومة منها مثل لغة سبأ وحمير . وضمائر المتكلم والمخاطب والمخاطبة تطابق ضمائر العربية . وضمير الغائب في الحبشية وآتُ

وتزعم الحبش أن منيلك بن سليمان أول ملوكهم وليس بصحيح اذ الحبش وملوكهم كانوا يعبدون الاصنام مثل مَحرم ومحيرومدر واستر

ثم تنصر من تنصر من ملوكهم وقد ذكرنا الكتابات الموجودة في قصبة مملكتهم أي اكسوم ونورد الآن بعض سطور من هذه الكتابات تدل على عبادتهم الاصنام قبلا ثم تنصرهم واذ كان ايراد هذه السطور انما هو للدلالة على تنصرهم بعد عبادتهم الاصنام لم يكن هناك حاجة الى ذكرها بالحبشية فنكتفي بذكر ترجمتها العربية وهي

« نصبت منبرًا هنا لحرم ولبحير وللمدر » ثم في كتابة أخرى « نصبت منبرًا لرب السماء الذي أعانني ووهبني المملكة وأسجد له بصدق وانصاف وأنا لا أظلم الرعية »

فمن هذا يعلم أنه ملك نصراني لا وثني لانه في الاول يسجد لصنم ثم في هـذا يسجد لرب السماء وهو الله وهذه الكتابات موجودة الآن في اكسوم

وفي أوائل القرن السادس بعد الميلاد كان أمر ذي نواس صاحب الاخـدود واستيلاء الحبش على اليمن . وكان اسم ملكهم وقتئذ كاليب وقيل انه بعد انتصاره على ذي نواس اعتزل الناس وأقام على جبل وترهب وكان نائبه على اليمن أرياط الذى يصحف الناس اسمه فيجعلونه بالباء الموحدة بدل الياء فيقولون أرباط

و بعد برهة من الزمان انقسمت المملكة فصار الامر فوضى الى سنة ١٢٧٠ ب م اذ ملك عليهم الحبش رجلاً يزعم أنه من نسل منيلك بن سليمان اسمه يكنو أملاك

وفي أثناء ذلك كان زوال اللغة القديمة و يقال لها جفز وتولدت لغات حديثة أخرى هي الأنوسة الآن في بلاد الحبش إلا ما يختص بالدين والصلوات وكتب الحبش منقولة اما من اليوناني واما من العربي

فالمنقول من اليوناني كالاناجيل والتوراة قديم . والمنقول من العربي حديث اى من القرن الثالث عشر بعد الميلاد . والكتب العربية المستخرجة الى الحبشية هي كتب القبط لا غيرها

وأخبار الحبش عند علماء العرب قليلة ومدارها في الاغلب تراجم الصحابة الذين هاجروا الى الحبشة لا أخبار مملكة الحبشة نفسها وتاريخ ملوكهم

ومن هذا القبيل كتاب جلال الدين السيوطي المسمى أزهار العروش في أخبار الحبوش . وكتاب آخر اسمه رفع شأن الحبشان . وكتاب الطراز المنقوش بمحاسن الحبوش لمحمد عبد الباقي . وكتاب تقي الدين المقريزى المسمى الالمام بأخبار من بالحبشة من ملوك الاسلام وهذا الكتاب صغير الجرم كبير الفائدة وفيه أخبار كثيرة تتعلق بالحبشة لا بالصحابة وله يعترف بالفضل جميع علماء اوروبا

* * *

هذا ما كان من أمر الحبش . ثم تقول الكلمات الدخيلة في العربية كثيرة قال صاحب [١] كتاب الاشتقاق والتعريب المطبوع حديثا فى القاهرة تحت عنوان « طائفة من المعرّبات » كانت الأُمة العربية لاول عهدها منحطة في التجارة والزراعة والصناعة متأخرة في فنون العلم وضروب العرفان ، وكادت تكون تكاليف حياتها ومطالب معيشتها منحصرة فى شؤون معينة ، وأطوار خاصة ، اشهرها الحروب وادواتها ، والفيافي وحيواناتها ، والانعام وشياتها ، والنساء وصفاتها فيما يقرب من ذلك ويطوف حواليه ، وإذا أرادوا الزائد عليه من شأن علمي أو زراعي أو صناعي أو كان من ادوات الترف والزينة ولم يجدوا له اسما في لغتهم ولم يعرفوه فيما كانوا عليه من نوع مدنيتهم تناولو اسمه من لغات الأُمم المطيفة بهم العريقة في المدنية اه

و بعض هذه الكلمات يظهر كونها دخيلة بأدنى تأمل بخلاف بعضها اى المنقولة من اللغة الآرمية الشبيهة جدا بالعربية . وهذه الكلمات باعتبار الاصل دخيلة و باعتبار اوزانها عربية خالصة . ووضع أيضاً العرب أفعالا من هذه الكلمات المعرّبة ومثال ذلك لفظ بلاط وهو من اللاتيني ووضعوا له فعلا بلط يبلط اى عمل البلاط فالفعل مشتق من الاسم وليس بالعكس وأنا أضرب عن ذكر الدخيل المعروف كالمرزبان والانجيل والقنصل وأمثال ذلك فانه معروف ولا طائل تحت ذكره . وانما اذكر ما أظن أنه دخيل لادلة يأتى تفصيلها ان شاء الله ومن هذا القبيل ما يتعلق بآلات الحرب

كانت العرب من الشجاعة والبأس على أرفع درجة غير أن آلاتهم الحربية لم تكن إلا القسى والحراب . و بالحربة سميت الحرب حرباً . واما الاسلحة أي آلات الحرب ففي سائر اللغات السامية الشلح هو الرمي وقد عرفنا أن كل شين في العبرى تصير سيناً في العربي فعلى هذا الشلح هو السلح ومنه السلاح

---

(١) هو الكاتب البليغ عبد القادر افندى المغربي أحد محررى جريدة المؤيد الاغر . اثبت في كتابه هذا ان التعريب طبيعى في لغتنا وفي غيرها من اللغات وان استعمال المعرب لا يحط من قدر فصاحة الكلام وسرد على ذلك ادلة وبراهين مما أفاضه عليه علمه الواسع واطلاعه الجم . والكتاب في ١٤٦ صفحة من القطع الصغير

ثم تعلمت العرب صناعة الحرب من الفرس والروم وكان ذلك سبباً لدخول الفاظ رومية وفارسية كثيرة في لغتهم . ومن تلك الالفاظ القصر . لا أصل لهُ البتة في العربية إذ معنى قصر بعيد ويقال في اللاتيني كسترو وصار في الارمى الشرقي قسترا وعند الارمى الغربي قسرا فصار في العربي قصراً . ومنها برج وأصله في اللاتيني برجس وهذه الكلمة شائعة في جميع اللغات بهذا المعنى فمن ذلك بطرسبرج قصبة الروس معناه برج بطرس وهو الملك الكبير الذى بناه . ومنهـا الفسطاط ويقال لهُ كذلك الفساط جاء في بيت لعدّي بن زيد

آنسات الحديث في غير فحش رافعات جوانب الفساط

وهذه الكلمة لاتينية الاصل ثم انتقلت منهم الى اليونان وأصل معناها الخندق حول الخيمة وسمي الفسطاط فسطاطاً لذلك

ومعروف أن السنور معرب وكذلك القونسُ كان يلبسه العسكر ومثله الماذى

﴿ ٤٠ ﴾

(جزئيات المحاضرة)

سياق الكلام في دخيل العربية ، الزيت والزيتون وما يتعلق بالمصابيح ، النصرانية في الحيرة وعند بني غسان ، الالفاظ الدينية المنقولة من الارمى

***

ومن الدخيل عندى الزيتون وعصارته الزيت . والفعل زات يزيت أى وضع الزيت مشتق من الاسم لا بالعكس فهو مثل بلط يبلط الذى تقدم ذكره . ولا شك في أن الكلمتين قديمتان وزيتون على وزن غير قياسي في العربية إذ وزنها فعلون لا فعلول وبناء على ذلك لم يذكره سيبويه في كتابه . وذكره الزبيدى الاندلسي في كتابه الاستدراك على ابنية سيبويه ولم يجد في العربية بأسرها كلمة على هذا الوزن إلا الزيتون . والزيتون معدوم قديماً من جزيرة العرب إذ الزيتون لا ينبت إلا في البلاد

المعتدلة التي ليست في افراط من الحر ولا من البرد . ويؤيد ذلك عندي الآية « وشجرة تخرج من طورسيناء الخ » والشجرة عند المفسرين الزيتون قال الطبري في تفسيره يعني بها شجرة الزيتون والدهن الذي هو من ثمره الزيت . وقال البكري الجغرافي المشهور والزيتون انما هو بالشام لا بتهامة

وسمي نوع من الزيت زيتاً ريكابياً وذلك على ما فسرهُ الجوهري في الصحاح لانه يحمل على ظهور الابل من الشام . واذ كان الزيت أجنبياً محمولاً من البلاد الشائعة كالشام كانت أسماء المصباح دخيلة في العربي في الاغلب . ومن تلك الاسماء السراج واصله من الفارسي أي چراغ واخذه الارميون فقالوا شراجا ولما كانت الشين في الارمي والعبراني توافق السين في العربي صار سراجاً ومنها قنديل واصله قنديلا ومعناه الاصلي المضيء . ومنها كذلك نبراس وهو في الارمي نبراش فقلبت الشين سيناً كما هي القاعدة ولا أصل لنبراس في العربية . والصمج كذلك معرّب بمعنى القناديل

والخلاصة ان القناديل كانت قبل الاسلام نادرة غريبة في بلاد العرب إذ المسامرة (اى الحديث بالليل) كانت بلا مصباح فاذا احتاجوا الى الاضاءة اضرموا ناراً كنار السلم وهي مشهورة وكذلك نار الفداء . فالنور من النار

ولما ظهرت القناديل في بلاد العرب تعجب منها شعراؤهم وأكثروا من ذكرها في التشبيهات خصوصاً ما كان من قناديل رهبان النصارى في كنائسهم

حكي أن تميم الدار هو أول من أسرج في المساجد وتميم هذا كان قبلا نصرانياً يتعبد في دير ولذلك قيل له الداري بالإمالة اي الديري نسبة الى الدير لانه كان يسكنه . وممن ذكر القناديل في شعره من شعراء العرب امرؤ القيس قال

نضيء الظلام بالعشاء كأنها   منارة ممسى راهب متبتل

وقال كذلك

يضيء الفراش وجهها لضجيعها   كمصباح زيت في قناديل عباد

وقال كذلك « كأنها مصابيح رهبان » .

ومنهم عبيد بن الابرص فانه ذكر نبراس النبيط (جمع نبط) وأكثر شعراء العرب من ذكر الرهبان وكل ما يتعلق بأعياد الملة المسيحية لان النصرانية كانت شائعة في القرن السادس عند بني غسان وفي مملكة الحيرة . وكان ابتداء النصرانيه عند بني غسان في القرن الرابع . وأما ملوك الحيرة فأول من تنصر منهم النعمان بن المنذر أبو قابوس وقيل بل هو المنذر بن ماء السماء (المنذر الثالث) وليس بصحيح فانه كان يعبد الاصنام ويذبح الذبائح للعزى كسائر عرب الجاهلية

وأبطأ ملوك الحيرة في التنصر لسبب وهو ان الاكاسرة الساسانية كانوا أعداء النصارى ولما كانت مملكة الحيرة في طاعة الاكاسرة خافوا أن يدينوا لملة تكرهها الساسانية . هذا ما كان من أمر الملوك

وأما الشعب فالنصارى منه كثيرون وكان في الحيرة أسقف منذ أوائل القرن الخامس . والكنائس والاديرة كثيرة . منها كنيسة بنتها هند بنت الحارث وكتبت اسمها في كتابة فوق الكنيسة وقالت فيها والاله الذي بنى له هذا البيت يغفر خطيئتها ويترحم عليها وعلى ولدها وكانت أعياد النصارى مشهورة قال النابغة الذبياني

مجلتهم ذات الاله ودينهم قويم فما يرجون غير العواقب

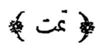
فكان كل ذلك سبباً لدخول الالفاظ الدينية في كلام العرب

وقد سبق القول أن الثاء تطابقها في الارمي التاء فثور في العربي يقال فيه تور في الأرمي والضاد والغين تطابقها العين في الارمي وهذا من العلامات التي يعرف بها الدخيل ويميز بينه وبين العربي الخالص

فمن ذلك ثاب يثوب معناه رجع ففي الارمي تجده تاب ومن ذلك كلمة بيضة أصلها في الارمي بيعة والارميون كانوا يسمون الكنيسة بيعة لقبتها التي على مثال البيضة ومن ذلك عروبة اسم يوم الجمعة وسمي عروبة لان عيد اليهود يوم السبت ويبتدىء بغروب شمس يوم الجمعة ولذلك سمي يوم الجمعة عروبة. وكلمة كنيسة أصلها من لفظ أرمي وهو كنشو أي اجتمع سميت به لانها مجتمع القوم كما سمي المسجد جامعاً لذلك . ومن

ذلك أسقف كان أصله اليوناني ابسقفس وعند القبط أداة التعريف ب فظنوا أن الباء للتعريف فحذفوها فصارت اسقف

وقد يدخل عند التعريب لفظان في أصل واحد ولا مناسبة بينهما مثل سبح سبحاً أو سباحة معناه عام . وأما سبح فمن الارمي . لان الكلمات الدينية العربية أخذ كثير منها من الارمي كما تقدم . ومثل ذلك صام ومعناه الاصلي في العربية الصمت ومعناه الصوم المعروف الآن هو من اللغة الارمية . والسبط تعريب شبط بابدال الشين سيناً . ولذلك لا يرد هذا اللفظ ألا لقبائل بني اسرائيل . ومن الفارسي كلمة رزق أصلها في الفارسية القديمة (روزك) ومعناه اليومي واذ كان ما يأتي الانسان من الرزق يتجدد بتجدد الايام سمي رزقا لانه يومي وكلمة الخمر هي عندي دخيلة لان الخمر كان نادراً للغاية في الجزيرة وكان يحمل اليها من الشام والعراق وكان غالياً جداً . أقول الخمر ولا أقول العنب فانه كان موجوداً في بلاد العرب



مجلة الجامعة المصرية

نصف شهرية مصورة

لنشر محاضرات الجامعة بعضها بأقلام أساتذتها الاجلاء وبعض آخر بأقلام أصحاب المجلة بعد اعتماد حضرات الاساتذة اياها

وقيمة الاشتراك ٦٠ قرشاً لطلبة الجامعة المنتسبين و ٨٠ قرشاً لطلبة الجامعة المتطوعين وسائر طلبة المدارس و ١٠٠ لغير الطلبة داخل القطر و ١٢٠ في الخارج

طلبات الاشتراك ترسل باسم سكرتير المجلة بمكتبتها بشارع محمد علي بعمارة المؤيد رقم ١٠٤ صندوق البريد رقم ٣٣ تليفون ٢٠٥٢

ثمن النسخة الواحدة من مجلة الجامعة المصرية خمسة قروش صاغ وتباع في القاهرة في المكاتب الآتية

مكتبة المؤيد بشارع محمد علي بجوار دار المؤيد

مكتبة الشعب بميدان العتبة الخضراء بالعمارة الجديدة

مكتبة التأليف بشارع عبد العزيز

مكتبة هنديه بالموسكي

مكتبة الهلال بشارع الفجالة

مكتبة الساسي بجوار محافظة مصر

مكتبة عبد الواحد بك الطوبي وأخيه بجوار سيدنا الحسين

مكتبة الرافعي بالسكة الجديدة

مكتبة المعارف بشارع الفجالة

